دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الفرح آثاره وأحكامه في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	محمد، حسين شريف
مؤلفين آخرين:	علي، عثمان الحسن أحمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2010
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 226
رقم MD:	562147
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	تفسير القرآن، ألفاظ القرآن، الفرح في القرآن
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/562147

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المبحث الأول : قصة قارون .

المبحث الثاني : قصة ملكة سبأ .

الفصل الثالث

وقائع من الفرح في القصص القرآني

إن القران الكريم تناول الفرح في القصة القرآنية بهدف العبرة والعظة ، ومن القصص التي تناولها القرآن الكريم، قصة قارون مع قومه وطبيعة فرحه وطغيانه ، ودور العلماء تجاه الطغيان القاروني .

وكذلك تناول القران الكريم قصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وطبيعة فرحها بالهدية ، وموقف سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ من الهدية .

(وفي أهداف القصة القرآنية العظة والعبرة ، والتثبيت للقلوب والتزكية للنفوس والسمو بالأرواح)[1] .

القصص القرآني وما يحتوي من مواقف السابقين وما حدث لهم يعتبر (شدُ لأزر المؤمنين، وتسلية لهم عما يلاقون من الهموم والمصائب ، وتثبيت لرسول الله ومن تبعه من أمته ، وتأثير في نفوس من يدعوهم القرآن إلى الإيمان وأنهم إن لم يؤمنوا لا محالة هالكون ، وموعظة وذكرى للمؤمنين ، وقد صرح القران بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2]) [3].

المبحث الأول
قصة قارون

المطلب الأول : قارون مالك الكنوز :

أولا : التعريف بقارون :

---

(١) المرأة في التصور القرآني : سوسن فهد الحوال ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤م ، دار العلوم العربية. بيروت. لبنان ، ص ٤٥٧ .

(٢) سورة هود الآية ١٢٠ .

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع : عبد الرحمن النحلاوي ، ط ٢٦ ، ١٤٢٩هـ. ٢٠٠٨م ، دار الفكر. دمشق ، ص ١٩٤ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾[1] .

(قارون من قوم موسى ـ عليه السلام ـ واختلف الناس في قرابته لموسى ، فقيل هو عمه ، وقيل هو ابن عمه ، وقيل هو ابن خالته ، فهو بالإجماع رجل من بني إسرائيل .

وكان ممن آمن بموسى وحفظ التوراة ، وكان عند موسى ـ عليه السلام ـ من عبَاد المؤمنين ثم لحقه الزهو والإعجاب ، فبغى على قومه بأنواع البغي ، فمن ذلك كفره بموسى واستخفافه به وبقومه لكثرة ماله وولده ، وبظلمه لهم ، وبتكبره والاستطالة عليهم) [2].

وورد اسم قارون في القران الكريم أربع مرات :

١. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [3].

٢. قوله تعالى : ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

---

(١) سورة القصص الآية ٧٦ .

(٢) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : د. عبد الكريم زيدان ، ط١ ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م ، مؤسسة الرسالة . بيروت . لبنان ، ج١/ ص ٥٢٥ ، (وانظر قصص الأنبياء : ابن كثير ، ص ٢٧٢) .

(٣) سورة غافر الآية ٢٣. ٢٤.

حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١).

٣. في سورة القصص : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾(٢) .

٤. في سورة القصص : قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٣). (٤)

سوف نقف مع هذه الآيات الكريمة وقفات تدبرية لنأخذ منها الدروس والعبر .

ثانيا : كثرة كنوزه :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾(٥).

(الكنوز : جمع مفرده ((الكنز)) وهو المال من الذهب والفضة والجواهر الكريمة ونحو ذلك ، الذي يدفن في باطن الأرض ، أو في أماكن حصينة داخل مباني لا يستطاع الوصول إلى داخلها إلا بقوى عظيمة تفوق القوى المعتادة للناس . وقد آتى الله - عز وجل - قارون

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٣٩ .٤٠ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٦ .

(٣) سورة القصص الآية ٧٩.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم بحاشية المصحف الشريف : ص ٦٥٢ .

(٥) سورة القصص الآية ٧٦ .

بتمكينه من الوسائل السببية كنوزا كثيرة ، اكتنزها في مباني حصينة ، ذات أبواب تقفل بإحكام بالغ ، فلا تفتح إلا بمفاتيح خاصة بها ، وقد جمعها في ظلِ خدمته لفرعون وآله ضدّ قومه)[1] .

(ولم ترد الكنوز في القران إلا مرتين ، في قصة موسى عليه السلام ، والمرتان في سياق الذم .

المرة الأولى : في الحديث عن كنوز قارون ، التي خسف الله بها الأرض بعد ذلك ، وزالت الكنوز بزوال قارون مالكها .

المرة الثانية : في التعقيب على هلاك وغرق فرعون وجنوده، قال تعالى :﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [2].

والتعبير عن أموال قارون بالكنوز يوحي بأنه حصّلها بأدنى جهد مبذول ، وأنه كان يعدها ويحفظها ويجعل بعضها فوق بعض ، ولا يخرج منها شيئا للمحتاجين .

كما يوحي هذا التعبير بأنه كان يكنزها ويكثرها وينميها ، ويحرص على أن يزيدها ، وما كان يكتفي أو يقنع أو يشبع منها .

وأخبرنا الله أن مفاتح هذه الكنوز لتنوء بالعصبة أولي القوة من الرجال : ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾) [3].

قال الأستاذ عبد الفتاح صلاح الخالدي في معنا كلمة المفاتح قولا جميلا سنورده بنصه :

(ذهب بعضهم إلى أنها المفاتيح التي تفتح بها خزائن كنوزه ، وهذه المفاتيح تعجز عصبة الرجال الأقوياء عن حملها ! .

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر : الشيخ عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م ، دار القلم . دمشق ، ج٩/ ص ٤٦٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٥٧ . ٥٩ .

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص٤٥ .٤٦ .

ونحن لا نرى ذلك ، لأنه لا ترادف بين المفاتح والمفاتيح ، ولو أريد مفاتيح خزائن الأموال لقال الله : مفاتيحه .

المفاتح جمع ((مفتح)) ؛ أما المفاتيح جمع ((مفتاح)))[1].

قال أبو البقاء ـ رحمه الله ـ في الكليات :

(المفتاح : آلة الفتح كالمفتح ، وكمسكن : الخزانة ، والكنز والمخزن .

والمفاتح جمع مفتح بالكسر والقصر : وهو الآلة التي يفتح بها ، أو جمع (مفتح) بفتح الميم وهو المكان لا جمع (مفتاح) إذ لو كان كذلك ينبغي أن تقلب ألف المفرد ياء فيقال : مفاتيح كدنانير ومصابيح ومحاريب ....)[2].

فالمفاتح إذن هي الخزائن التي توضع فيها كنوز قارون ، وكون خزائن قارون تنوء وتثقل بالمجموعة الكبيرة من الرجال الأقوياء دليل على كثرتها .

وهذا دليل آخر عن أن المراد بالمفاتح في الآية هو الخزائن ، وليس المفاتيح التي تفتح بها الخزائن ، فالمفاتيح لا تنوء بالعصبة أولي القوة ، بل لا تنوء بالرجل الواحد ، إذ يستطيع الرجل الواحد حمل مئات المفاتيح بسهولة ويسر !.[3]

وقد وردت روايات إسرائيلية [4] في بيان مدى ثروته وكنوزه وكيفية حصولها وأن قارون كان يعرف اسم الله الأعظم ، وأنه كان يتقن علم الكيمياء التي تحول المعادن إلى الذهب .

وقد ردَ الإمام الحافظ العلاّمة ابن كثير هذه المزاعم حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ :

(وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم فاستعمله في جمع الأموال فليس بصحيح لأن الكيمياء تخييل وصنعة ولا تحيل

---

(١) نفس المصدر : ج٣/ ص ٤٦ .

(٢) كتاب الكليات : ص ٨٦٧ .

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص٤٦.٤٧ بتصرف .

(٤) الإسرائيليات : تلك الروايات التفسيرية المنقولة عن اليهود والنصارى ، انظر (التفسير والمفسرون : ج١/ ص ١١١) .

الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن منافقا في الظاهر)[1].

ثالثا : قارون هو أحد الطغاة الثلاثة :

كان قارون من قوم موسى ـ عليه السلام ـ إلا أنّه بغى عليهم وصار إلى جانب فرعون وهامان في تكذيب نبي الله موسى ـ عليه السلام ـ كما أكد ذلك القران الكريم في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [2].

ومعنى ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ (أي : فظلم قومه الإسرائيليين وفي مقدمتهم موسى ـ عليه السلام ـ ، وتكبّر عليهم ، وصار ينشر فيهم الفساد والإفساد .

البغي : تجاوز الحدِ المألوف نظيره لدى الجائرين عن الصراط المستقيم ، ويطلق على الغلو في الكبر ، والظلم ، والفساد في الأرض .

ومن بغيه على موسى ـ عليه السلام ـ ما جاء في قصته عند المؤرخين من أنه استأجر امرأة فاجرة لتتهمه بأنه فجر بها ، فصلى موسى ـ عليه السلام ـ ركعتين ، وتوجه لها سائلا من أستأجرك للافتراء علي ، فقالت أمام جمهور قومه : قارون ، فظهرت براءته وخسئ قارون .

وما كان باستطاعة قارون أن يبغي على قومه وهو منهم لولا أنّه تزلف إلى القصر الفرعوني ، وجعل نفسه خادما لمصالح فرعون وآله في قومه ، ضد موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ ومن اتبعهما ، فمكّن له فرعون في مصر أن يجمع أموالا كثيرة ويكنزها

---

(١) قصص الأنبياء : الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ص ٢٧٣.

(٢)مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : محمد بسام رشدي الزين ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١ م ، دار الفكر . بيروت . لبنان ، ص ٢٤٩ بتصرف .

في كنوز ، وأن تكون له مظاهر سلطان واستكبار على قومه ، ليكون عونا للقصر الفرعوني على إذلال بني إسرائيل في مصر ، وتسخيرهم واستعبادهم) [١].

(وبدلا من أن يستغلّ هذا الرجل جاهه الضخم لمصلحة قومه من المغرَبين معه ، أو للتخفيف عنهم ، وهم لم يسلفوا له أو لفرعون أي جريرة ، لم يجد لهم في نفسه غير ما كان لدى الجلادين المحدثين [المعاصرين] الذين تولوا إحراقهم في النار لحساب هتلر[٢] في بولندة ، فقال : ﴿ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ [٣]، وهو نموذج لتحجُر أواصر القربى بين هؤلاء يرينا طبيعة القلوب التي يتواصلون بها ، وهي قلوب انفردت بأخبث ، وأقسى ما نعت به الخالق تعالى القلوب ، إذ جابههم بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٤])[٥].

(وترك قارون لقومه بني إسرائيل ، وانفصاله عن موسى ـ عليه السلام ـ الإسرائيلي مثله، وانحيازه لفرعون القبطي ضد قومه ، دليل على التقاء الكفار على الكفر والطغيان ، مهما اختلفت أصول وأجناس الكفار ، فالكفر ملة واحدة)[٦].

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج ٩/ ص ٤٦٨ .

(٢) هتلر هو زعيم ألمانيا النازية. حكم ألمانيا حكمًا دكتاتوريًا من عام ١٩٣٣م إلى عام ١٩٤٥م. حوّل ألمانيا إلى آلة حرب قوية وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م. هَزمت قواته معظم أوروبا قبل هزيمتها هي عام 1945 م ، وأشاع هتلر الرعب بشكل لم يفعله أحد في التاريخ الحديث ، صعد هتلر إلى السلطة السياسية عام ١٩١٩م وهي السنة التي تلت الحرب العالمية الأولى. وكان هتلر يملك تصورًا واضحًا عما يريده، ويملك الجرأة على متابعته. لكن أهدافه لم يكن لها حدود، كما أنه أساء تقدير إمكانات ألمانيا وقدرتها ، ولد هتلر عام ١٨٨٩م ، وانتحر في عام ١٩٤٥ م ، (أنظر الموسوعة العربية العالمية : من انتاج دائرة المعارف العالمية، شارك في إنجازه ألف عالم، ومترجم، ومحرر، ومراجع لغوي، ومستشار، من جميع البلاد العربية. رئيس التحرير: أحمد مهدي محمد الشويخات، ٢٠٠٤ ، قرص CD) .

(٣) سورة غافر الآية ٢٥ .

(٤) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٥) بنو إسرائيل في ميزان القران : البهي الخولي ، ط ١، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م ، دار القلم. دمشق ، ص١٥٠ .

(٦) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٤٤ .

المطلب الثاني : دور أهل العلم والإصلاح في نصح الفرحين بغير الحق :

إن من أهم سمات أهل العلم والإصلاح هي إصلاح الفاسدين وبذل النصح لهم وبناء مجتمع صالح يسود فيه الرخاء والرحمة والأمن والسعادة والعدالة .

ونلحظ هذه الخصلة في مؤمنين من قوم قارون حيث واجهوا فتنة قارون وطغيانه بنصحه تارة ، وبيان المنهج القويم والسديد في سياسة المال والاقتصاد تارة أخرى .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [1].

(ويأتي النص القرآني ليعرض الوسطية والاعتدال في المنهج الإلهي القويم المنهج الذي يعلق قلب صاحب المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة ، بل يحضه على هذا ، ويكلفه إياه تكليفا ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها) [2].

لقد اشتملت نصائح قوم قارون على نقاط أساسية ، ويعتبر مدار الحياة عليها ولأهمية هذه النقاط سنوردها ببعض من التفصيل .

---

(١) سورة القصص الآية ٧٦.٧٧.

(٢) التفسير التربوي للقران الكريم : ج٢/ ص ٥٦٥ .

أولا : النهي عن الفرح : -

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ . (أي وعظه فيما هو فيه صالح قومه فقالوا له على سبيل النصح والإرشاد : لا تفرح بما أنت فيه ، يعنون لا يصبك البطر بما أنت فيه من المال)[1] .

(يأتي الفرح في اللغة بمعنى البطر والأشر ، أي : بمعنى الاستكبار والتفاخر والتعالي على الناس ، والمعلوم أن من فرح بكثرة أمواله ، طغى فرحه على بصيرته فطمسها فصار يتصرف تصرف الطغاة ، وهذا المعنى هو المراد هنا من النهي عن الفرح) [2].

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

(﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ . . فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال ، والاحتفال بالثراء ، والتعلق بالكنوز ، والابتهاج بالملك والاستحواذ . . لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال ؛ وينسي نعمته ، وما يجب لها من الحمد والشكران . لا تفرح فرح الذي يستخفه المال ، فيشغل به قلبه ؛ ويطير له لبه ، ويتطاول به على العباد)[3] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ . (أي : كن على حذر من نقمة الله عليك وعقابه ، فمن جعل نفسه بإرادته في زمرة من لا يحبُهم الله ـ عزّ وجلّ ـ ، فقد جعلها عرضة لنقمة الله وعقابه الشديد .

---

(١) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٢٦ .

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص ٤٦٩.٤٧٠ .

(٣) في ظلال القران : ج٥/ ص ٢٧١١ .

فالعبارة استخدمت على سبيل الكناية للترهيب من عقاب الله الشديد ونقمته ، كما عاقب الفرحين المستكبرين من قبله)[1] .

ثانيا : وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : ـ

قال الله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ﴾ . (أي : استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك ، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب الجزيل في الآخرة)[2].

(وفعل ((وابتغ)) هنا يعني شيئا أكثر من (واطلب) ، لأنه يعني : اطلب واستعمل ما آتاك الله من قلب وحس وشعور وإدراك وصحة ومال وولد ...الخ ـ بل وحتى كل استعداداتك الفعلية والكامنة ـ واستخدمها في طلب الدار الآخرة)[3] .

(وفي هذا توجيه له [أي قارون] إلى التواضع ، والاعتراف بأنّ ما معه إنما هو فضل ومنحة من الله ، حيث أرشدوه إلى أن يوجِه كلّ ما آتاه الله إلى الآخرة ، وأن يبتغي ويطلب به الدار الآخرة .

((وما)) في : ((في ما آتاك الله)) اسم موصول ، وهو يدل على العموم والشمول ، وهو يوحي بأنّ على المؤمن أن يوجه كلّ ما آتاه الله من النعم والمنح للدار الآخرة ، كله وليس قسما أو بعضا منه .

وهو يفعل ذلك لأنه يوقن أن لذة الدنيا زائلة ، فإن وجَه قسما من النعم للدنيا خسر ، أما نعيم الآخرة فإنه دائم موصول ، ولذلك يوجه كلّ نعم الله للدار الآخرة ، طلبا لدوامها واستمرارها) [1].

---

(١) المصدر السابق : ج٩/ ص ٤٧٠ .

(٢) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٢٦ .

(٣) أضواء قرآنية في سماء الوجدان : ص ٢٩٨ .

ثالثا : التعامل مع الدنيا بصورة ايجابية : ـ

قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ . (أي : مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقًا ، ولنفسك عليك حقًا ، ولأهلك عليك حقًا ، ولزورك عليك حقا ، فآت كل ذي حق حقه)[٢].

(وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها .

لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ وليعلموا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها ، فتنمو الحياة وتتجدد ، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض . ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها ، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها . والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم ، وتقبل لعطاياه ، وانتفاع بها . فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى .

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان ، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة ، التي لا حرمان فيها ، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة)[٣].

وفي (هذا التوجيه [أي : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾] يوضح كيفية تطبيق القاعدة السابقة : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ .

ولابد للمؤمن أن ينسق بين القاعدتين بتوازن ، بحيث لا يطغى في واحدة على الأخرى .

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص٤٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ج٦/ ص ٢٥٣. ٢٥٤ .

(٣) في ظلال القران : ج٥/ ص ٢٧١١ .

الماديون والشهوانيون ينسون الدار الآخرة ، ويقبلون على الحياة الدنيا ، ويوظفون كلّ ما آتاهم الله من النعم للدنيا ، وهذا ما فعله قارون ، ومن سار على دربه من ((القارونيين)) !

وقد ردّ على هؤلاء الماديين الدنيويين مغالون في الجانب الآخر ، وهم الرهبان ومن سار على طريقهم ، حيث نسوا نصيبهم من الدنيا ، وحرّموا على أنفسهم المباحات ، مثل الزواج والتملك ، بحجة أنهم يطلبون الدار الآخرة ، وقد خالفوا نداء الفطرة ، ووقعوا في محاذير كثيرة .

إن الإسلام يدعو المؤمن الى أن ينسق بين الدنيا والآخرة ، ويوظف ما في الدنيا للآخرة ، ويفعل ذلك وهو يستمتع بطيبات الدنيا ومباحاتها .

وورد بهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

وهذه الآية تنكر على الذين يحرمون على أنفسهم الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا ، بزعم أنهم يبتغون بها الدار الآخرة ، وتبين أن هذه الطيبات للمؤمنين ، يستمتعون بها في الحياة الدنيا ، ويشاركهم الكفار الاستمتاع بها في الدنيا ، لكنها خالصة لهم وحدهم في الآخرة .

الدنيا والآخرة في تصور المؤمن ليستا ضدين أو نقيضين ، بل هما مرحلتان متكاملتان متوازنتان . فالمؤمن يعيش دنياه وهو ينظر لآخرته ، ويبتغي في كل ما آتاه الله من نعم الدار الآخرة ، ولكنه يستمتع بها في دنياه الاستمتاع الطيب الحلال ، فلا يحرم نفسه منها في الدنيا ، رغم أنه يوظفها للدار الآخرة)[2].

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

(٢) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٤٩٠٥٠ .

رابعا : الاحسان بالاحسان : ـ

قال الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ . (أي : أطع الله وأعبده كما أنعم عليك

وقيل : هو أمر بصلة المساكين، قال ابن العربي[1] ـ رحمه الله ـ : فيه أقوال كثيرة جماعها استعمال نعم الله في طاعة الله)[2] .

(لقد أحسن الله إلى عباده ، بما منحهم من نعم وعطايا ومنن ، وطالبهم أن يحسنوا في هذه النعم ، وأخبرهم أنهم إن شكروه فيها زادهم منها : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [3].

وإن قابل إحسان الله إليه بإحسان فهو خير محسن كريم ، وهذا هو الأصل . قال تعالى : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [4].

الله هو المحسن في البداية ، بما أنعم على المؤمن من نعم ، وطلب منه أن يقابل إحسان الله له بإحسان ، وذلك باستخدام هذه النعم في طاعته ، ونفع عباده ،فإن فعل ذلك فإن الله يحسن إليه في الآخرة ، بأن يدخله الجنة ، ولا جزاء للاحسان إلا الإحسان ، وكلُ من نال إحسان الله إليه ، عليه أن يحسن في استخدام هذا الإحسان الإلهي .

ولهذا طلب المؤمنون من قارون أن يقابل إحسان الله إليه بإحسان ، وذلك باستخدام تلك الكنوز في نفع الآخرين : ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾) [5].

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ القاضي ، أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد ، ابن العربي الأندلسي الاشبيلي ، صاحب التصانيف ، صنف، وجمع، وكان فصيحا بليغا خطيبا ، صنف كتاب " عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذي " ، وفسر القرآن المجيد ، فأتى بكل بديع ، وله كتاب "كوكب الحديث والمسلسلات " ، وكتاب " الأصناف " في الفقه ، وكتاب " أمهات المسائل "، وكتاب " نزهة الناظر " ، و " المحصول " في الأصول ، و غيرها من المصنفات المفيدة ، توفي سنة ٥٤٣ هـ ، انظر (سير أعلام النبلاء : ج٢٠/ ص ١٩٨) .

(٢) الجامع لأحكام القران : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط١ ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م ، دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان ، ج٧/ ص ٢٠٤ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ٧.

(٤) سورة الرحمن الآية ٦٠.٦١ .

(٥) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٥١ .

خامسا : تجنب الفساد في الأرض :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

(الفساد : التلف الذي يصيب شيئا ما ، ويحوّله من كونه صالحا نافعا ، إلى كونه غير صالح ولا نافع ، بل ربّما يصير ضارا كريها مفسدا لغيره من الأشياء الصالحة .
ويشمل الفساد الماديات ، والمعنويات النفسية ، والمفهومات الفكرية ، فإفلات المباني الصالحة والمزارع النافعة من الإفساد في الأرض ، وتربية النفوس على الحقد والحسد ، وكيد الناس وسلب أموالهم بغير حقّ ، والطّمع بما آتاهم الله من فضله ، وإفقارهم وإذلالهم وتسخيرهم بالإكراه ، واستعبادهم بغير حقّ ، من الإفساد في الأرض ، وطرح الشبهات ضدّ أركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، وأحكام الدين الذي اصطفاه الله لعباده في الأخلاق ، والمعاملات ، والعبادات المحضة ، والآداب ، وغير ذلك ، من الإفساد في الأرض) [1].
(وهذه هي الحالة المقابلة للاحسان ، وهي التي تصدر عن الكافرين والظالمين والمفسدين ، فعندما ينعم الله على أحدهم النعم الكثيرة ـ كما فعل مع قارون ـ فانه يستخدمها في الفساد والإفساد ، ويصرف الأموال على شهواته وملذاته ، ويدمر الأخلاق والأعراض والفضائل ، وينشر الفواحش والمنكرات والمفاسد .
وبذلك يكون المال بين يديه وسيلة إفساد ، وسببا في هلاكه وخسارته ، وحجة عليه عند ربه .

وهناك تقبل لطيف بين توجيه المؤمنين لقارون ، عندما قالوا له : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ ، وبين نهيهم له عن الفساد في قولهم : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

((ابتغ)) فعل أمر . ماضيه ((ابتغى)) : بمعنى : طلب .
و ((تبغ)) فعل مضارع . ماضيه ((بغى)) : بمعنى : تجاوز وتعدى .
تقول : ابتغى الرجل الخير ابتغاء . إذا طلبه وأراده .

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص٤٧١.٤٧٢ .

وتقول : بغى الرجل الشرّ بغيا . إذا تعدى إليه)[1] .

(﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي : كن على حذر شديد من نقمة الله عليك وعقابه ، فمن جعل نفسه بإرادته من زمرة الذين لا يحبهم الله عز وجل بسبب كونهم مفسدين في الأرض، فقد جعلها عرضة لنقمته ، وعذاب منه يخزيه ويذلّه .

وهذه العبارة قد استخدمت استخدام نظيرتها السابقة ، على سبيل الكناية للترهيب من عقاب الله الشديد ونقمته ، كما عاقب المفسدين في الأرض من قبله)[2].

إن حضارة الإنسانية بحاجة إلى من ينصحها ويبين لها معالم المنهج الصحيح فالمسار التي سلكه الحضارة المعاصرة وليدة الفكر القاروني .

دول عظيمة نشأة في العصر الحديث قد أساء إلى القيم الحضارية والقيم الإنسانية على سواء حيث استبدّ تلك الدول بكل شيء ، وسعى جاهدة لاستعباد البلاد والعباد ، وتحت مسميات براقة ، كالحرية والديمقراطية [3] وحقوق الإنسان .

ففي ظل هذه الأسماء اضطهد شعوب كثيرة ؛ اضطهد الشعب الكردي[4] والشعب

---

(١) المصدر السابق : ج٣/ ص٥١ . ٥٢ .

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص ٤٧٢.٤٧٣ .

(٣) الديمقراطية نظام اجتماعي يؤكد قيمة الفرد وكرامة الشخصية الإنسانية ، ويقوم على أساس مشاركة أعضاء الجماعة في إدارة شؤونها ، وقد تكون الديمقراطية سياسية ، وهي أن يحكم الناس أنفسهم على أساس من الحرية والمساواة لا تمييز بين الأفراد بسبب الأهل أو الجنس أو الدين أو اللغة ، وتخضع الأقلية لإرادة الأغلبية ، انظر (العلمانية تحت المجهر : ص ٣١٤) ، و انظر (مذاهب فكرية معاصر : محمد قطب : ص ١٧٨) .

(٤) شعب يعيش في المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غربي آسيا. ويمتد وطنهم عبر أجزاء من إيران والعراق وسوريا وتركيا وأرمينيا. وعدد الأكراد في المنطقة غير مؤكد ولكن التقديرات تشير إلى أنه حوالي ٢٥ مليونًا. ومعظم الأكراد من المسلمين السُّنِّيين. ويتحدثون باللغة الكردية وهي إحدى اللغات الهندو . أوروبية القريبة إلى حد كبير من الفارسية.

يعيش معظم الأكراد في مجتمعات محلية ريفية. ويقومون بالزراعة ورعي الماشية والماعز. وتشمل المحاصيل الزراعية القطن والتبغ وقصب السكر. ويعيش بعض الأكراد في المدن ويعملون في مختلف المهن الحضرية. والمدن الكردية الرئيسية هي ماهأباد وساناندج وكرمنشاه في إيران، وإربيل وكركوك والسليمانية في العراق، وديار بكر وفان في تركيا.

ومن الناحية التاريخية أُطلق اسم كردستان . وهي كلمة فارسية تعني أرض الأكراد . على المنطقة التي يعيش فيها الأكراد. ولكن حاليًا لاتوجد سوى منطقة صغيرة في إيران يطلق عليها رسميًا اسم كردستان ، (أنظر الموسوعة العربية العالمية : قرص CD) .

الفلسطيني ما يقارب قرنا من الزمان ، وهناك شعوب زال معالمها بسبب التطرف الصليبي [١] والصهيوني[٢] والطغيان الرأسمالي [٣] والتعسف الشيوعي[٤] ، فالأنظمة التي استمدّ روحها من الأرض كان سببا في هلاك الشعوب وشقائها .

ويبقى الدواء الناجع للمعضلات التي تواجه البشرية هو القران الكريم فيه شفاء ونور ورحمة .

المطلب الثالث : الفخر والخيلاء بالدنيا الفانية :

---

(١) الحملات العسكرية التي قامت بها أوروبا المسيحية الى الشرق العربي والاسلامي في خلال القرنين الثاني عشر ، والثالث عشر الميلادي (في فترة ١٠٩٦م . ١٢٩١م) وقد جرت هذه الحملات تحت ستار الدوافع الدينية (انقاذ بيت المقدس من المسلمين) الا أنها كانت في الحقيقة ذات دوافع اقتصادية في الاساس ، ويبلغ عدد هذه الحملات أو الحروب سبع ، (أنظر موسوعةالسياسية : د. عبد الوهاب الكيالي ، وأخرون ، ط٢ ، ١٩٩٣ م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ، ج٢/ ص ٢٣٨) .

(٢) دعوة وحركة عنصرية . دينية استيطانية اجلائية مرتبطة نشأة وواقعا ومصيرا بالامبريالية العالمية تطالب باعادة توطين اليهود وتجميعهم ، واقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو ، والعنف كحل للمسألة اليهودية ، ولدت فكرة الصهيونية محددة المعالم ، وكبرنامج سياسي ، وكتنظيم عام ١٨٩٧ م عندما تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال (بازل) في سويسرا ، وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية ، (انظر ، أنظر موسوعةالسياسية : ج٣/ ص ٦٥٩) .

(٣) الرأسمالية نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية ، يقوم على أساس إشباع حاجات الانسان الضرورية والكمالية ، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها ، متوسعا في مفهوم الحرية ، معتمدا على سياسة فصل الدين نهائيا عن الحياة ، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : ج٢/ ص ٩١٠) .

(٤) الشوعية هي مجموعة أفكار وعقائد ورؤى اشتراكية ثورية ماركسية تنادي بضرورة وحتمية اطاحة النظام الرأسمالي وأقامة مجتمع المساواة والعدل في اطار امي مرتكز على الملكية العامة لوسائل الانتاج وخال من التمييز الطبقي والاجتماعي ، وبحيث تختفي الفروق والتفاوتات بين المدينة والريف ، وبين العمل الذهني والعمل اليدوي ، وبين المرأة والرجل ، (انظر مسوعة السياسية : ج ٣ / ص ٥٣٤) .

لقد وصف القرآن الكريم الحياة الدنيا بأوصاف عديدة ، منها ما يذم ومنها ما يحمد ، ويبقى الدور الأساسي والعامل الرئيسي في تحسين صورة الدنيا أو تقبيحها هو الإنسان ذلك المخلوق العظيم الذي يمتلك قدرات عظيمة بما وهبه الله تعالى من العقل والعلم .

قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1]، فهذه المفردات التي ذكرتها الآية الكريمة أداة خير إذا أحسن التعامل معها ، وأداة شرّ وفساد إذا استخدم فيهما .

ولهذا كان جزاء المتكبرين والطاغين العذاب الأليم والذل والهوان كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[2].

(فالاستكبار في الأرض والفسوق عن أمر الله كل ذلك أثر من آثار كون الدنيا هي الهدف الوحيد للإنسان ، ولذلك كان ضبط النفس على أمر الله في شأن الدنيا ومعالجة النفس من أهم ما يطالب به الإنسان ، ولعل هذه النقطة بالذات من أهم الفوارق بين أهل الكفر وأهل الإيمان) [3].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٠ .

(٣) المستخلص في تزكية الأنفس : ص ٢٥٠ .

الحياة الدنيا في نظر قارون :

(النفس البشرية إذا تركت على هواها ، وحجب عنها نور الإيمان ، ونظرت إلى ما بين يديها من الأسباب المادية ، أخذها الغرور والبطر ، وظنت أنها لم تؤت هذا المال وهذه المكانة والوجاهة إلا لمزايا ذاتية فيها ، وهذا الصنف من البشر يتكرر في كل زمان ومكان وفي كل حال لم تهذب بإشراقة الإيمان ، ولقد ظن هذا الظن قارون عندما قال : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [1]) [2].

(المنطق القاروني : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ هو منطق كل متكبر بطر ، مغرور بماله وكنوزه ، هو نفسه منطق الجاهلية الرأسمالية المعاصرة ، التي تقوم على شعار جاهلي هو : ((دعه يعمل ، دعه يمرّ)) .

أي : دع المال يعمل ، ودع المال يمرُ ويكسب ، ودع المال يسير في طريقه ، ولا تعترضه، ولا تقيّيده بالأخلاقيات والقيم ..! !

ولا تخرج الجاهلية الرأسمالية المعاصرة عن كلام قارون : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾!

ولما اعتدَ قارون بعلمه وجهده في قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ بين الله جهله وغفلته ، وعدم اتعاظه بما حصل للذين كانوا أقوى منه من قبله : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة القصص الآية ٧٨.

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي : أ.د مصطفى مسلم ، ط ٦ ، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م ، دار القلم ، دمشق ، ص ٢٢٩.٢٣٠ .

(٣) سورة القصص الآية ٧٨.

لقد أهلك الله كفارا أغنياء أقوياء قبل قارون ، وكانوا أشدّ منه قوة ، وأكثر منه أموالا ، ولم تدفع عنهم قوتهم وأحوالهم عذاب الله ، ولكن قارون في عنفوانه وطغيانه غفل عن معرفة هؤلاء ، والاعتبار بما حصل لهم .

وهكذا ((القارونيون)) السائرون على طريق قارون في كل زمان ومكان ، يعميهم بطرهم وتكبرهم عن الاعتبار بما جرى لأمثالهم الذين كانوا قبلهم ، فيأتيهم عذاب الله وهم غافلون)[1].

كان قارون جاهلا عندما نسب إلى نفسه العلم والحنكة والخبرة في تملكه لتلك الكنوز والأموال .

وزداد جهلا عندما استكبر على قومه بما يملك من مال وجاه ومنصب ، وللجهل فنون فهناك رؤساء يسيئون استخدام مناصبهم وهناك أحزاب وجمعيات يجهلون ويسعون في سبيل نشر الجاهلية .

أعد قارون من أجل إظهار قوته المالية موكبا عظيما قد اجتمع فيه ألوانا من الترف والزينة ونشاهد هذه الصورة في القران الكريم : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [2].

(أراد قارون أن يتيه ويختال على قومه ، وأن ينشر فيهم فتنته وفساده ، فتزيَن بزينته ، وانتفش بماله ، ثم خرج على قومه ، مختالا مغرورا ، ليفتنهم ويفسدهم .

ونبقى مع النص القرآني المجمل : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ ولا نحاول تفصيله بالذهاب إلى الإسرائيليات ، لتسجيل بعض ألوان وأنواع الزينة التي خرج بها على قومه ، وبيان كيفية خروجه على قومه فيها .

إن إيراد تلك الروايات الإسرائيلية يحرم خيال القارئ من متعة تخيل وتصوُر قارون وهو خارج على قومه في زينته ، ورسم صورة منتفشة متعاظمة لها [أي زينته] ، فلندع الخيال يتخيل ما شاء من ألوان ومظاهر تلك الزينة .

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٥٤ .٥٥ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٩ .

خرج عليهم في زينته ليفتنهم ويفسدهم ويطغى عليهم ، ليريهم أنه هو الأغنى والأقوى ، ومن ثم فهو الأفضل والأكرم ، فهو الذي يعيش حياته ، بما جمع من كنوز ، أما هم فهم محرومون من لذة العيش !!)[١].

خطورة التكبر :

قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [٢].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي[٣] ـ رحمه الله ـ :

(أي : بحالة أرفع ما يكون من أحوال دنياه ، قد كان له من الأموال ما كان ، وقد استعد وتجمل بأعظم ما يمكنه ، وتلك الزينة في العادة من مثله تكون هائلة ، جمعت زينة الدنيا وزهرتها وبهجتها ونضارتها وفخرها ، فرمقته في تلك الحالة العيون ، وملأت بزَّتُهُ القلوب، واختلت زينته النفوس) [٤].

إن خروج قارون بهذه الصورة يمثل الأبعاد النفسية التي يمتلكها قارون من خبث النفس واستعلائها ، فممارسة التكبر دلالة على ضعف النفس ومرضها .

(الكبر من الأخلاق السيئة التي تحول دون الحصول على العلم ، وتمنع من تلقي التربية الرفيعة ، وتجعل الإنسان بعيدا عن الله ، قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[٥])[١] .

---

(١) المصدر السابق : ص ٥٥ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٣) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي ولد سنة ١٨٩٠م في بلدة عنيزة من بلدان القصيم في السعودية وتلقى العلم من علماءها ، ومن شيوخه العلامة محمد الشنقيطي ، والشيخ صعب التو جري وغيرها من العلماء الأفاضل ، وله مؤلفات عديدة منها تيسير الكريم المنان في تفسير القران ، والقواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه توفي سنة ١٩٥٦م ، انظر (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة : ص ٣٨٥ . ٣٩٠) .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ص ٦٢٣ .

(٥) سورة النحل الآية ٢٣ .

إن التكبر صفة ذميمة ينتعش في البيئة التي يسودها الجهل والتخلف والمتكبر من أبعد الناس عن حب الله تعالى ورضاه قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[٢].

(الخيلاء شعور طفولي بالعظمة ، والفخر حديث المرء عن نفسه ـ أو قومه ـ بإعجاب واعتزاز ، وكلا الوصفين ينشأ عن الجهل أو القصور العلمي أو الذهول عن حقوق الآخرين أو الاغترار بالموجود وان كان تافها والاستهانة بالمفقود وان كان خطيرا .

فالذي لديه بعض المعرفة ، يظن نفسه أوتي العلم كله ! وهو في الوقت نفسه لا يدري جلال ما غاب عنه ، ولم يحط به علما ..

وفي الأقطار المتخلفة تكون المناصب الرئاسية متنفسا مريحا للكبر والاختيال .. ويستطيع المرضى بجنون العظمة ، أن يشمخوا بأنوفهم ، وأن يحرجوا غيرهم ! أما في المجتمعات المتمتعة بالصحة النفسية فهيهات أن يقع هذا العوج ، إذ عواقب الغرور سيئة .... وفي الإسلام حرب موصولة ضد الاختيال والاستكبار .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد))[٣] .

وغزارة المعرفة ونفاسة المواهب وجلال الشيم ينبغي أن تستر برداء العبودية لله ، والإحساس بفضله الأعلى فهو الواهب لكل جميل ، وهو ولي الحمد والمنة) [٤].

---

(١) فلسفة التربية في القران الكريم : عمر أحمد عمر ، قدّم له . أ . د وهبة الزحيلي ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ.٢٠٠٠م ، دار المكتبي. دمشق ، ص٣١٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٣٦ .

(٣) رواه مسلم : ٥١ .كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٦ . باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار : رقم الحديث : (٢٨٦٥) : ج٤/ ص ٢١٩٨ .

(٤) المحاور الخمسة للقران الكريم : محمد الغزالي ، ط١ ، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م ، دار الشروق. القاهرة ، ص١٧٧ .١٧٨ .

عن أبي هريرة قال : قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((بينما رجلٌ يمشي في حلةٍ تعجبه نفسه مرجلٌ جمّته إذ خسف الله به فهو يتجلجل[1]به إلى يوم القيامة))[2].

فمصير المتكبر السقوط لا محالة في ذلك ، إما على النحو الذي صوره حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أنه يسقط من عين الخلق فيكون منبوذا في المجتمع ، وهذا هو حال ثلة من المتكبرين الأغبياء الذين لا هم لهم إلا أن يشعرون الآخرين بمزاياهم ومفاخرهم المزيفة ، ولهذا نهى الله ـ تعالى ـ عن التكبر في ابسط شؤون الحياة قال تعالى :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [3].

(لقد كشف الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية من سورة (الإسراء) للمستكبر الذي يتبختر ويمشي على الأرض مرحا واقع حاله الصغير ، فأبان له أنه حين يضرب الأرض برجله ، ويتطاول مستعليا بقامته على الناس ، فانه لن يستطيع أن يخرق الأرض ، فهي أصلب منه، ولن يستطيع أن يبلغ الجبال طولا ، فهي أعظم وأطول جسما منه .

وفي هذا إمعان إشاريُ بتحقير المستكبر ، يقول له : إن الأرض التي تمشي عليها أصلب من قوّتك ، وان الصخور الجامدة المكدّسة جبالا أطول من قامتك مهما تطاولت بها ، فلا تظنَنَ أن شدّة وطئتك على الأرض ، أو تطاولك بجسمك يمنحانك عظما حقيقيّا .

ويقول له : مهلا بنفسك أيها المستكبر المتبختر ، إلى أين أنت ذاهب بنفسك متطاولا ، إلى جهة الأرض فتضربها بقدميك ،والى جهة السماء فتنطحها برأسك ، هون عليك ، انك لن تستطيع أن تخرق الأرض مهما تبخترت عليها ، انك إن تحديتها هشّمت جسمك وحطّمته ، ثم إنك مهما تطاولت بجسمك إلى الأعلى فلن تبلغ الجبال طولا .

---

(١) التجلجل : أن يسوخ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق ، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربا متدافعا . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ج١٠/ ص ٣٠٣) .

(٢) رواه البخاري : ٨٠.كتاب اللباس ٤ . باب من جر ثوبه من الخيلاء : رقم الحديث (٥٤٥٢) : ص ٢١٨٢ / ٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ٣٧ .

إن الجبال مهما علت بأجسامها عن مستوى الأرض فهي أقل قيمة من الإنسان الذي فضّله الله بالصفات التي منحه إياها ، وهي من درجات صفات الكمال ، فلا تحاول أن تكسب المجد بالانتفاخ الجسدي والتعاظم ، أو بالتبختر والخيلاء والاستكبار على خلق الله .

إن المجد الإنساني لا يكون بطول الأجسام ولا بعرضها ، ولا بتبخترها وضربها الأرض بأقدامها حين مشيها .

يا لهذا من تبكيت بديع ورائع للمستكبرين !)[١].

(وخير تعريف للكبر هو قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((الكبر بطر الحق وغمط الناس))[٢].

إن رفض الحق عنادا واستعلاء هو أخس الصفات ، وهو ظلم للحقيقة التي يجب إنصافها على أية حال ، والعنيد يأبى الانقياد للحق ، ويؤثر إرضاء هواه ، والكبر هنا طريق إلى الكفر إن لم يكن إياه ، ولعل ذلك معنى الحديث الشريف ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))[٣]وهو معنى الآية : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٤])[٥].

---

(١) تدبر سورة الفرقان في وحدة موضوع : الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط١ ، ١٤١٢هـ . ١٩٩١م ، دار القلم. دمشق ، ص ٢٨٦ . ٢٨٧ .

(٢) رواه مسلم : كتاب الايمان ٣٩ . باب تحريم الكبر وبيانه : رقم الحديث (٩١) وروي هذا الحديث عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ قال رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قال إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس)) : ج١/ ص ٩٣ .

(٣) رواه مسلم : نفس المصدر :ج١/ ص ٩٣ .

(٤) سورة الزمر الآية ٦٠ .

(٥) المحاور الخمسة للقران الكريم : ص ١٧٩ .

(والكبر حين يستشري في النفس ، ويتمكن من قلب الإنسان ، ويملك عليه حسه وفكره ، يكون أسوأ ما يصيب الإنسان من أمراض القلب ، فما من خلق من الأخلاق الذميمة إلا وتجد صاحب الكبر متصف به .

فهو لا يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ولا يقدر على التواضع ، ولا يتخلص من الحقد ، ولا يتغلب على الغضب والغيظ ، ولا يستطيع دفع الحسد عن نفسه ، ولا يقبل نصيحة ناصح ، ولا تعليم عالم ، ولا يعامل الناس إلا بالازدراء والاحتقار ، وإذا مشى اختال ، وإذا تكلم افتخر ، وإذا نصح سخر من الناس وحقرهم ، فإذا تحدث تقعر في الكلام وتشدق ، وإذا جالس الناس غضب إذا لم يكن له صدر المجلس ، وأول الكلام ، وغاية التعظيم والاحترام)[1].

المطلب الرابع : المغرورون بأهل الفخر والخيلاء :

(يغتر ضعاف النفوس بزخرف الحياة الدنيا وزينتها عندما يرون أصحاب الثروة والسلطان يخرجون عليهم في زينتهم ، وينسون في تلك اللحظة أن الأمور بخواتيمها ، وهذا ما وقع فيه بعض من رأى قارون عندما خرج على قومه في زينته إذ قالوا : ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[2]، لكنهم عندما رأوا نهايته أدركوا خطأ تفكيرهم ، وأيقنوا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ؛ إذ إن منع الله عطاء ، وعطاء الله عطاء ، وليس المنع دليل إهانة ، ولا العطاء دليل إكرام ، إنما هو امتحان وابتلاء : ﴿ فَأَمَّا

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام : ص ٥٤ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٩ .

﴿ ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ [1])[2] .

من هم المغرورين بأهل الفخر والخيلاء :

قال الله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [3].

فلما خرج قارون في مظاهر الأبهة[4] كان طبيعيا أن يفتتن بعض الناس به ، وهم السدّج والجهال الذين يريدون الحياة الدنيا ، ويميلون إلى زخارفها وزينتها ، فتمنوا أن لو كان لهم مثل ما أعطي ، وقالوا : يا ليت لنا من الأموال والثروات والأوضاع ما لقارون ، لنتمتع بها مثله ، فإنه ذو نصيب وافر من الدنيا ، وهذه نزعة جبلّيّة في الإنسان ، فهو دائما يطمع في السعة واليسار : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[5] .[6]

اختلف المفسرون في تحديد شخصية مريدي الحياة الدنيا على قولين :

---

(١) سورة الفجر الآية ١٥.١٦ .

(٢) مدرسة الأنبياء عبر وأضواء : ص ٢٥٤ .

(٣) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٤) الأبهة : قال ابن فارس (رحمه الله) : الهمزة والباء والهاء ، يدل على النباهة والسمو (انظر مقاييس اللغة ص ٢١) .

(٥) سورة العاديات الآية ٨ .

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : ج١٠ / ص ٥٣٤ . ٥٣٥ .

القول الأول :

إنهم كانوا مسلمين وإنما تمنوا على سبيل الرغبة في اليسار كعادة البشر .

القول الثاني :

الذين تمنوا حال قارون وما فيه من بطر وخيلاء كانوا كفارا [١].

الآية الكريمة تحتمل كلا الصنفين ؛ لأن النظر إلى الدنيا وزخرفها يؤدي إلى افتتان الناس مؤمنهم وكافرهم على السواء ، وهذا ما حصل لقوم قارون عندما رأوا قارون في وسط من الملذات والشهوات بدون أن يفكروا في مآل هذه الشهوات والملذات وما يترتب عليها من آثار سلبية .

(إن هؤلاء الناس لم يسألوا أنفسهم سؤالين : هل قارون يشعر بالسعادة ؟ ، وما هو الثمن الذي دفعه كي يصل إلى ما وصل إليه ؟!)[٢] .

والناظر إلى قول أولئك المغرورين كما ذكر في القران الكريم : ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ ، يرى مدى مشاركتهم في ظهور الظلم والاستبداد والفوارق الاجتماعية .

قال الإمام النسفي[٣] ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

(قالوه غبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه كهذه الآية)[١].

---

(١) التفسير النسفي : ص ٢٧٧ بتصرف ، (وانظر مفاتيح الغيب : ج٢٥/ ص ١٦) .

(٢) قصص القران : عمرو خالد ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ. ٢٠٠٩م ، الدار العربية للعلوم. بيروت. لبنان ، ص ١٥٦ .

(٣) هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي حافظ الدين أبو البركات ، كان إماما في جميع العلوم ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى وصنف المدارك في التفسير ، توفي في سنة ٧١٠ هـ في بلدة بغداد ، انظر (طبقات المفسرين : أحمد بن محمد الداودي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧ ، مكتبة العلوم والحكم – السعودية ، ج١ / ص ٢٦٣) .

(وفي كل زمان ومكان تستهوي زينة الأرض بعض القلوب ، وتبهر الذين يريدون الحياة الدينا ، ولا يتطلعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها؛ فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرض الحياة؟ من مال أو منصب أو جاه . ومن ثم تتهافت نفوسهم وتتهاوى ، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتهاوى! ويسيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع ، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدوه ، ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه ، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها) [٢].

فهؤلاء وصل إعجابهم بقارون وشخصيته المتكبرة إلى درجة تمنوا حاله ، وهذه الأمنية تنعكس على نفسية قوم قارون من حبهم الشديد للدنيا ، فهؤلاء لم يبذلوا جهدا في سبيل تغيير واقعهم الاجتماعي والاقتصادي بل على العكس من ذلك ؛ حيث شاركوا في هذا الفساد المزري الذي إذا استمر كان سببا في إحراق الأخضر واليابس .

حب الدنيا أساس كل خطيئة وغفلة :

إن معظم الأخطاء التي يقع فيها الإنسان يأتي في ضوء سلبية التعامل مع الحياة الدنيا .

فحب الدنيا ينتج عنه سلوكيات غير أخلاقية في أغلب الأحيان ، ولهذا نجد أن القران الكريم قد ذكر الحياة الدنيا وكيفية التعامل معها في أوضح صورة .

إن القرآن يقرر ـ بكل وضوح وقوة وصراحة ـ قصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها ، وتضاؤلها في جنب الآخرة ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [٣].

---

(١) التفسير النسفي : ج٢/ ص ٢٧٧ .

(٢) في ظلال القران :ج٥/ ص ٢٧١٣ .

(٣) سورة التوبة الآية ٣٨ .

ويقول : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

ويقرّر كذلك في وضوح وقوة أنها قنطرة إلى الآخرة ، وفرصة للعمل ، فيقول : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢).

ويقرر أن الآخرة هي خير وأبقى ، فيقول : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٣).

إذا هو يذّم ويشنّع على من يؤثر الدنيا ـ الفانية العارضة ، السقيمة الناقصة ـ على الآخرة ـ الباقية الخالدة الواسعة ، الصافية من الأكدار الخالية من الأخطار ـ فيقول الله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (٤).

ويمدح من يجمع بين الدنيا والآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، ومعرفة قيمتها وفضلها ، والحرص عليها فيقول الله عزّ وجلّ : ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

(٢) سورة الكهف الآية ٧ .

(٣) سورة القصص الآية ٦٠ .

(٤) سورة يونس الآية ٧ . ٨ .

ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (١) .(٢)

إن عدم التزاوج بين حياة الدنيا وحياة الآخرة يعني الخروج عن الفطرة السليمة وهذا ما أوقع قوم قارون في غرور وافتتان بزينة الدنيا وزخرفها .

(وقد وصف الله هؤلاء المفتونين المخدوعين بأنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

فهم ناسون للآخرة ، غير طالبين لها ، ولا راغبين فيها ، ولا منتظرين لنعيمها ، وكل همّهم وفكرهم هو الدنيا ، وما فيها من زينة ومال ومتاع وانتفاع .

وبما أنهم يريدون الحياة الدنيا وزينتها فقد قاسوا أنفسهم بقارون ، فشعروا بالفرق الواسع بينهم وبينه ، ومن ثمّ شعروا بالحسرة والفقر والذل والحاجة ، إنهم لا يملكون شيئا من الدنيا وزينتها ، وقارون يملك منها كل شيء .

إذن قارون ـ في منظارهم وميزانهم ـ أفضل وأكرم منهم ، وهو أغنى وأسعد منهم ، ولهذا تمنّوا أن يكونوا مثله ، وأن يؤتوا مثل ما أوتي ، وصدرت جملة على ألسنتهم تترجم عما في قلوبهم ، وقالوا : ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ .

تمنّوا أن يؤتوا من المال والكنوز مثل ما أوتي قارون ، ليتزيَنوا به كما يتزين ، وينتفعوا به كما ينتفع .

وأتبعوا تمنّيهم بتسجيل تقويمهم له ، حيث قالوا : ﴿ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٠. ٢٠١ .

(٢) دراسات قرآنية : ص ١٩٥ . ١٩٧ بتصرف .

قارون في نظرهم ذو حظ عظيم ، لأن الحظ العظيم عندهم هو الزينة والمال والمتاع ، والترف والإسراف ، وصاحب الحظ العظيم هو الذي أوتي ذلك ، فقارون صاحب حظ عظيم ، أما هم فإنهم محرومون من ذلك الحظ العظيم .

إن نظرتهم إلى قارون خاطئة ، وان تقويمهم له غير صحيح ، فليس هو ذا حظ عظيم ، ولو أوتوا مثله لما كانوا ذوي حظ عظيم .

سرُ انخداعهم بزينة قارون وفتنته ، واغترارهم بما معه هو أنهم : ﴿ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ .

فلو لم يكونوا يريدون الحياة الدنيا لما خدعوا وفتنوا ، وكأنّ القرآن يدعونا إلى معرفة أساس خطئهم لئلا نقع فيه ، فأساس الخطايا هو ابتغاء الحياة الدنيا وطلبها وإرادتها والرغبة فيها ، ونسيان الآخرة وتركها وعدم الرغبة فيها)[1] .

(العكوف على اللذائذ ، ومطاوعة الأهواء ، وإجابة الرغبات الدنيا ، أمراض تصيب الأمم في عصور الانحلال وتعرضها للهلكة ، فهي نذر الفناء ودلائل إدبار السيادة .

ولقد لوحظ من استقراء التاريخ أن الحضارات الكبرى لم يقتلها إلا الترف ، وأن الأمم العظيمة لم يهلكها إلا البطر ، وأنّ ترك الناس يرتعون الشهوات رتع السوائم لن يجر في أعقابه إلا البوار العاجل : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[2]) [3].

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٥٦ .٥٧ .

(٢) سورة الزمر الآية ٢٦ .

(٣) كفاح الدين : الشيخ محمد الغزالي ، ط ٧ ، ٢٠٠٥م ، شركة نهضة مصر ، ص ٢٣٢ .

قال الشيخ محمد الغزالي[1] ـ رحمه الله ـ :

(والحقيقة التي نذكِر المسلمين بها ، أن الأمة التي تألف قرب المتع ، وتجزع من سياسة الحرمان إذا فرضتها ظروف طارئة ، أمة لا تستحق الحياة ولن تجدلها بين الأحياء مكانا..، وأن الشباب الذين تستهويهم أحاديث الشهوة ، ولا تستهويهم أحاديث المجد ، هم شباب لا خير فيهم ، ولا تعويل عليهم)[2].

المطلب الخامس : جزاء الفرحين بغير الحق :

إن التكبر والغرور والبطر جريمة شنيعة يجب إزالتها حفاظا على المجتمع من العلل والآفات .

فالمجتمع التي يحيا حياة الفرحين البطرين عرضة لانقلاب الموازين فيها كانعدام الأمن والعدالة والرخاء والعافية بعد أن كانوا يتنعمون في ظلّها ووفرتها .

والتكبر والغرور وبطر النعمة من بذاءة الأخلاق لا يدوم صاحبها سواء كانوا أفرادا أو جماعات ؛ كما وقع لقارون من عقوبة الخسف .

قال الشاعر :

---

(١) هو محمد الغزالي السقا مفكر إسلامي ولد في قرية (نكلا العنب) بمحافظة (البحيرة) بمصر سنة ١٩١٧م ، تخرج من كلية أصول الدين في جامعة الأزهر سنة ١٩٤١م وتخصص في الدعوة ، وحصل على درجة التخصص في التدريس ، وهي تعادل درجة (الماجستير) من كلية اللغة العربية ، وتدرّج في الوظائف الدعوية والإدارية ، حتى صار وكيلا لوزارة الأوقاف ، واعتقل . الشيخ محمد الغزالي . بسبب انتماءه لحركة الإخوان المسلمين وكان معتقلا لعدة سنوات ، ومن مؤلفاته : الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، وخلق المسلم ، ونظرات في القران ، ومعركة المصحف في العالم الإسلامي وغيرها من المؤلفات التي بلغت أكثر من ٥٥ كتابا ، توفي سنة ١٩٩٦ م ، انظر (الشيخ محمد الغزالي تاريخه وجهوده وآراؤه : د. عبد الحليم عويس ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠ م ، دار القلم. دمشق ، ص ١٠ .١٣) ، وانظر (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة : ص ٢٨) .

(٢) كفاح الدين : ص ٢٣٣ .٢٣٤ .

إنما الأمم أخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والتاريخ خير شاهد على زوال حضارات وإمبراطوريات في ظل انعدام الخلقي والانحراف الفكري .

عقوبة الخسف للفرحين بغير الحق : -

إن الله جلت قدرته أرانا (يد القدرة وهي تضع حدا للفتنة ، وتحطم الغرور والكبرياء بأن خسف بقارون وبداره فابتلعهم الأرض ، ولم ينفع الكفار والظالمين قوتهم .

وفي هذا الوقت يرى الناس المقاييس الحقيقية ، ويعلمون أن الثراء ليس آية على رضا الله، فهو يوسع الرزق على من يشاء من عباده ، ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضا والغضب)[1] .

(كان مصير قارون الذي لم يعيّر سلوكه وينظمه كما يجب تجاه النعم المهداة له ، هو أن الله خسف به وبداره الأرض ، ويرسم القران هذا الأمر بالمشهد الأتي : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[2].

والحقيقة أن قارون قد اخطأ في ناحيتين :

الأولى : انه انحرف إلى الغرور بسبب هذه النعم التي أنعمها الله عليه ، واستعلى على الناس وعلى الله ، وسقط في هوة الكبرياء والغرور وهو من الصفات الحائلة بين المرء والجنة .

---

(١) التفسير التربوي للقران الكريم : ج٢ / ص ٥٦٧ . ٥٦٨ .

(٢) سورة القصص : الآية : ٨١ .

وفي مقابل دعوى الكبرياء والغرور عاقبه الله بخسف الأرض من تحته ، وبتعبير آخر بينما كان قارون يعتقد بأنه هو صاحب هذه النعم المقدمة إليه ، وانه سيملكها إلى الأبد خسف الله به الأرض ، بينما كان من الأنسب له إبداء التواضع : ((من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله))[١].

الثانية : إنْ كثر في أي مجتمع قارون وأمثاله وفي شاكلته ، وسيطرت ذهنيتهم على المجتمع بدأت بوادر تمزق وتفتت في ذلك المجتمع ، أي لو أصبحت ذهنية الذين يربحون ويكسبون الأموال الطائلة ولا يرون لأحد أي حق في هذه الأموال ولا يحركون ساكنا إنْ مات غيرهم من الجوع ، أي لو سادت فلسفة الأشخاص الأنانيين في المجتمع ، وأصبحت هي التي تشكل طراز حياة الناس ؛ ظهرت فروق هائلة بين طبقات المجتمع ، ويمكن الوقوف عند الرأسمالية والشيوعية كأمثلة على مثل هذه الهوة الواسعة بين طبقات المجتمع .

ففي أمثال هذه النظم كانت هناك في السابق وحاليا هوة واسعة بين طبقات الشعب ، مما أدى ويؤدي إلى مآسي إنسانية كبيرة ، والى مصائب .

لذا فان الله تعالى لكي يمنع من انتشار هذه العلة وهذا المرض وسريانه بين أفراد الشعب عاقب قارون بالخسف به وبداره الأرض لكي يكون عبرة لمن يأتي من بعده)[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم عن أوس بن خولي (رضي الله عنه) قال : دخلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : ((يا أوس من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله)) ، قال أبو نعيم في الإصابة : فيه خارجة بن مصعب وفيه من لا يعرف أيضا ، انظر (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ص ٧٠١ / ٣) .

(٢) أضواء قرآنية في سماء الوجدان : ص ٢٩٥ . ٢٩٧ .

(٣) سورة القصص الآية ٨١ .

(يقال لغة : ((خسف الله بقوم الأرض)) أي : جعلها تغور بهم إلى الأعماق فيغيبون فيها مقبورين هلكى .

أي : فأتبعنا استعراضه الكيدي التضليليَ ، بما يمحوا آثاره في نفوس الجمهور الأعظم من الإسرائيليين محوا كليا ، وبإقناع عقابي عمليّ ، فخسفنا به وبداره الأرض)[1].

(كان قارون يؤذي موسى ـ عليه السلام ـ كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكاة ، فصالحه عن كل ألف دينار على دينار ، وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني إسرائيل وقال : إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا : أنت كبيرنا فمر بما شئت قال : نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فترفضه بنو إسرائيل ، فجعل لها ألف دينار أو طستاً من ذهب أو حكمها ، فلما كان يوم عيد قام موسى فقال : يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن أحصن رجمناه . فقال قارون : وإن كنت أنت؟ قال : وإن كنت أنا . قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فأحضرت فناشدها بالذي فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فقالت : جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي وقال : يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي ، فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك . فقال : يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون ، فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل . فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ، ثم قال : خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ، ثم قال : خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق ، وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال : خذيهم فانطبقت عليهم فقال الله تعالى : استغاث بك مراراً فلم ترحمه فعزتي لو استرحمني مرة لرحمته ، فقال بعض بني إسرائيل : إنما أهلكه ليرث ماله فدعا الله حتى خسف بداره وكنوزه) [2].

---

(١) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص ٤٨٧ .

(٢) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج٢ /ص ٢٧٧ . ٢٧٨ .

(﴿ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾ . أي : ما أغنى عنه ماله، وما جَمَعه، ولا خدمه و [لا] حشمه. ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله [به] ، ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، فلا ناصر له[لا] من نفسه، ولا من غيره) [1].

فقارون لم ينقذه كنوزه ، ولا أتباعه ، ولا حتى حلفاءه كفرعون وهامان ، فهذا هو مصير كل متكبر جبار عنيد لا يسانده ويناصره أحد عندما يصيبه مهلكات ونكبات .

الآثار التي تركها عقوبة الخسف :

لقد كان لعقوبة الخسف وقعها في نفوس بني إسرائيل ومعجبي قارون الطاغية ؛ حيث أيقظت قوة المشهد عقولهم وأحاسيسهم ، فرجعوا إلى رشدهم وإيمانهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [2].

قال الإمام العلامة ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ :

يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنَّوا مكانه بالأمس من الدنيا ، وغناه وكثرة ماله ، وما بسط له منها بالأمس ، يعني قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه ، يقولون : ويكأنّ الله .

اختلف في معنى ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ روي عن قَتادة[3] ـ رحمه الله ـ ، أنه قال : ألم تر أنه [1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٦/ ص ٢٥٧ .

(٢) سورة القصص الآية ٨٢.

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه أحد الأئمة الأعلام حافظ روى عن أنس وابن المسيب وابن سيرين وخلق وعنه أيوب وحميد وحسين المعلم والأوزاعي وشعبة وعلقمة ، توفي سنة سبع عشرة ومائة وقد احتج به أرباب الصحاح ، انظر (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال : الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط ٥ ، ١٤١٦ هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، دار البشائر – حلب . بيروت ، ج١/ ص ٣١٥) ، وانظر (صفة الصفوة : ج٣/ ٢٥٩) .

قال العلامة أبو القاسم الزمخشري[٢] ـ رحمه الله ـ :

(قد يذكر الأمس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ، ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة ﴿ مَكَانَهُۥ ﴾ منزلته من الدنيا (وي) مفصولة عن كأن ، وهي كلمة تنبُّهٍ على الخطأ وتندُّم . ومعناه : أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم ، وقولهم : ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾ [٣] وتندموا ثم قالوا : ﴿ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ أي : ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح) [٤].

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوي ـ رحمه الله ـ :

(وويكأن عند البصريين مركب من ((وي)) للتعجب ((وكأن)) للتشبه والمعنى : ما أشبه الأمر أن يبسط الرزق . وقيل من ((ويك)) بمعنى ويلك ((وأن)) تقديره ويك اعلم أن الله)[٥].

والراجح من هذه الآراء هي أن (كلمة ((وي)) من : ﴿ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ ومن [وَيْكَأَنَّهُ] : كلمة تعجُب وهي : اسم فعل بمعنى : ((أعجب)) أو ((نعجب)) وقد تليها كاف الخطاب)[٦].

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن : ج١٩/ ص ٦٣٤ بتصرف .

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المفسر يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زمانا ، ولد في شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر قرية من قرى خوارزم ، وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب بن البطر وغيره، وقال ابن خلكان في وفياته كان إمام عصره وكان متظاهرا بالاعتزال ، وله التصانيف البديعة منها الكشاف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وغيره من المصنفات ، وقد كانت وفاته في ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، انظر (طبقات المفسرين الداودي : ص ١٧٢) .

(٣) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج٣ /ص ٤٣٨ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج٢/ ص ٧٩٣ .

(٦) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص ٤٧٩ .

وهذه الكلمة : ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ ، لم ترد في غير هذا الموضع في القران الكريم [١].

(﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ، هذه العبارة نظيرة سابقتها ، والمعنى : اسمع أيها المخاطب تعجبُي من نفسي كيف كنت جاهلا أو غافلا عن حقيقة أن الشأن العظيم من مقادير الله في كونه وسننه في عباده ، عدم فلاح الكافرين ، الذين يتمردون على ربهم ، ويجحدون نعمه عليهم ، ولا يؤمنون بما فرض عليهم أن يؤمنوا به في رحلة امتحانهم .
الفلاح : الظفر بالمراد ، والفوز بجنات النعيم يوم الدين)[٢] .

قال الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ :

(وقد قص الله تعالى تلك القصة ؛ حتى يعلم الناس أن أحدا لن يفلت من عذاب الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وأنه : ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٣]، وان :﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾[٤]، ولن تغني عنهم أموالهم ولا قوتهم من الله شيئا .
وحتى يعلم كل ظالم أنه ليس له من الله ناصر : ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [٥]و﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[٦]، وهي دار القرار ، وهي الدار التي يغبط من أعطيها ، ويعزَى من حرمها ، وأنها معدة للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٧])[٨].

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص٦٦ بتصرف وانظر(المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم بحاشية المصحف الشريف : ص ٨٥٧) .

(٢) معارج التفكر ودقائق التدبر : ج٩/ ص ٤٨٠ .

(٣) سورة القصص الآية ٨٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ٢١ .

(٥) سورة الطارق الآية ١٠.

(٦) سورة العنكبوت الآية ٨٣ .

(٧) سورة القصص الآية ٨٣ .

(٨) قصص الأنبياء : الشيخ محمد متولي الشعراوي ، جمع المادة العلمية : منشاوي غانم جابر ، بدون عدد وتاريخ الطبعة ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ج٤/ ص٢١٤٤ .

المطلب السادس : فوائد قصة قارون :

اشتملت قصة قارون على دروس وعبر كثيرة جديرة بالوقوف عليها ومن هذه الفوائد والدروس :

١. الغنى والفقر لا يدلانعلى رضا الله أو سخطه .
٢. الفرح في الإسلام فرحان محمود ومذموم .
٣. المال وسيلة للحياة الفاضلة وليس غاية لذاته .
٤. المؤمن ناصح أمين .
٥. خطورة النظر إلى أهل الدنيا وزينتهم بإعجاب .
٦. الابتعاد عن مظاهر التكبر والفساد والفتنة .
٧. قد يعجل العقاب على الطغاة والفاسدين في الدنيا .
٨. تصحيح الاعتقاد والسلوك باللجوء إلى التوبة والندم .

ونتكلم فيما يلي عن هذه الفوائد والدروس ببعض من التفصيل :

١. الغنى والفقر لا يدلان على رضا الله أو سخطه :

لقد أعطى الله تعالى قارون مالا كثيرا ، كما بينا ، ولم يكن ذلك العطاء دليلا على رضا الله عنه ، وقد تجلت هذه الحقيقة لأولئك الذين تمنوا منزلة قارون ، عندما خسف الله به وبداره الأرض .

فعلى المسلم أن يبين هذه الحقيقة للناس ، لأنها من حقائق الإسلام ، كما عليه أن يبين للناس أن تضييق الرزق على عبد ما أو فقره لا يعني سخط الله على هذا العبد ، قال الله تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ (٢) . (٣)

٢. الفرح في الإسلام فرحان :

أ. فرح محمود بل مطلوب مرغوب : وهو سرور المؤمن بنعم الله عليه ورضاه بها وشكره لله عليها .

ب. وفرح مذموم : وهو الذي يقود إلى الغرور والفخر والبغي والجحود .

فالفرح الحقيقي لا يكون إلا بشيء باق دائم وهو فضل الله ورحمته ونعيمه وجنته ، أما الفرح بشيء عرضي زائل مثل الدنيا وزينتها وزخارفها ، فهذا دليل السذاجة والغفلة (٤).

٣. المال وسيلة للحياة الفاضلة وليس غاية لذاته :

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٠ .

(٣) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٣١ . ٥٣٢ بتصرف .

(٤) الفرحون في ضوء القران الكريم والسنة النبوية : ص ١٥٦ بتصرف .

(المال وسيلة يتوصل بها إلى تحقيق معظم رغبات الإنسان ، فإذا كثر عند الإنسان كثرت عنده وسائل تحقيق رغباته وشهواته ، وقد يؤدي هذا به إلى التكبر على الخلق والاستطالة عليهم بماله ، وقد يؤدي به أيضا إلى الإعجاب بنفسه وعدم القيام بشكر نعمة المال الذي أوتيه)[1].

(المسلم لا يعادي المال ، ولا يمتنع منه بل يأخذه وفق ضوابط شرعية ، ويستمتع به وفق ضوابط شرعية ، وينظر إليه وفق قواعد شرعية)[2] .

(إن هناك أغنياء يبذلون ما لديهم بسخاوة نفس ، ويبحثون عن كل خلة ليسدُوها ، ويستقبلون الفقراء بحفاوة ، ويعطونهم قبل أن يسألوا .

ويشكرون الله على ما أعطى وأعان ، ولا يرون المال سبب استعلاء ولا مصدر تطاول على الآخرين .

انه اختبار من الله يؤدي حقه فيه ! .

لكن قارون رأى أنه كسب المال بعبقرية وحده ، وأن من حقه أن يشمخ به ويترف فيه وينظر إلى غيره شزرا !! ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[3].

إن رسل الله فيهم الغنيّ والفقير ، فيهم من كان ملكا ، ومن عاش على الكفاف ، لكن غنيهم ما بخل ولا طغى ، وفقيرهم ما عجز ولا هان .

وفتنة المال في شتى الحضارات كانت قاسية ، وهي في الحضارة الحديثة مصدر بلاء كبير، وقد نشأة نظم ساخطة على التفاوت بين الناس ، فلم تصنع شيئا بل تولّت مسخوطا عليها)[1] .

---

(١) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٦ .

(٣) سورة القصص الآية ٧٨ .

قال الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢).

(فليس السعي في سبيل الدنيا ضلالا عن سبيل الآخرة ، وليس في القران فصام بين روح وجسد ، أو انشقاق بين عقل ومادة ، أو انقطاع بين سماء وأرض ، أو شتات في العقيدة يوزع ((الذات الإنسانية)) بين ظاهر وباطن وبين غيب وشهادة ، بل هي العقيدة على هداية واحدة تحسن بالروح كما تحسن بالجسد ، في غير إسراف ولا جور عن السبيل : ﴿ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣).

إن القران الكريم بهذا الإلهام الصادق ، ينقذ العقل من نقائض التفكير ، ولا ينجيه من نقائض الحيرة بين العالمين في حقائق الدين ولا مزيد)(٤).

٤. (المؤمن ناصح الأمين :

ذكرنا فيما سبق نصيحة المؤمنين لقارون وهم من قومه ، قال تعالى حكاية عن نصيحتهم : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٥).

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم : ص ٣٠٣ .

(٢) سورة القصص الآية ٧٧ .

(٣) سورة النحل الآية ٩ .

(٤) الإنسان في القران : عباس محمود العقاد ، ب ط ، ٢٠٠٤م ، نهضة مصر . القاهرة ، ص٢٥ .

(٥) سورة القصص الآية ٧٦ .٧٧ .

فالمؤمنون الصالحون من قوم قارون نصحوه وأمروه ونهوه بما جاء في هاتين الآيتين ، فقاموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعلى الدعاة المسلمين أن يقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل صراحة ووضوح ، وأن يقوموا بذلك كدعوة عامة بمضمون هاتين الآيتين في دروسهم ومحاضراتهم العامة ، ويقوما بهذا الواجب بصورة خاصة لمن يرونه متلبسا بصفات قارون أو ببعضها ؛ لان مضمون هاتين الآيتين من جملة ما جاءت به شريعتنا الإسلامية) [١].

٥. خطورة النظر إلى أهل الدنيا وزينتهم بإعجاب :

إن النظر إلى أهل الدنيا وزينتهم على وجه الإعجاب بهم والمحبة لهم أمر محظور ، لما يؤدي إليه هذا النظر من تأثير في أنفس المؤمنين والمجتمع قد ينسيهم ثواب الآخرة ويجعلهم يستصغرون ما عندهم من إيمان ، وما ينتظرهم من ثواب عند الله ، ويكبرون ويستعظمون ما عند أهل الدنيا ، بل وقد يكبرون أهل الدنيا أنفسهم ، وقد حذرنا الله ـ تعالى ـ من هذا النظر إلى أهل الدنيا وزينتهم في خطابه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٢]، والمقصود بزهرة الحياة الدنيا : زينة الحياة الدنيا .[٣]

والمعنى : (لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة)[٤].

---

(١) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٣٤ .

(٢) سورة طه الآية ١٣١ .

(٣) المصدر السابق : ج١/ ص ٥٣٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ج٥/ ص ٣٢٦ .

(فإذا عظمت الأمة الدينار والدرهم [الدنيا وزينتها] ، فإنما عظمت النفاق والطمع والكذب والعداوة والقسوة والاستعباد ؛ وبهذا تقيم الدنانير والدراهم حدودا فاصلة بين أهلها ، حتى لتكون المسافة بين الغني والفقير كالمسافة بين بلدين قد تباعد ما بينهما .

وإنما هيبة الإسلام في العزة بالنفس لا بالمال وفي بذل الحياة لا في الحرص عليها ، وفي أخلاق الروح لا في أخلاق اليد ، وفي وضع حدود الفضائل بين الناس لا في وضع حدود الدراهم ، وفي إزالة النقائص من الطباع لا في إقامتها ، وفي تعاون المؤمنين لا في تعاديهم وفي اعتبار الغنى هو الذي يعمل بالمال لا بالذي يجمع المال ، وفي جعل أول الثروة العقل والإرادة لا الذهب والفضة .

هذا هو الإسلام الذي غلب الأمم لأنه قبل ذلك غلب النفس والطبيعة) [١].

(ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة والمترفين وعددهم وألبستهم ومراكبهم ونحو ذلك من متاع الدنيا ، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة؛ فالناظر إليها كأنه يحقق ما يريده هؤلاء الظلمة المترفون عبّاد الدنيا) [٢].

وحفاظا على فطرة الإنسان من الانحراف نهت الشريعة الإسلامية عن ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

(فالنظر إلى متاع الدنيا على وجه المحبة والتعظيم لها ولأهلها منهي عنه) [٣].

٦. الابتعاد عن مظاهر التكبر والفساد والفتنة :

(قصّ الله علينا في السورة [يعني سورة القصص] قصة فرعون ، وكيف كانت عاقبة علوه وإفساده ، وقص علينا قصة قارون ، وكيف كانت عاقبة بغيه وتكبره ، وكلها سنن مطردة في معاملة الله للمتكبرين المفسدين .

ثم ختمت السورة بالإرشاد إلى أساس الخير والسعادة في الدنيا والآخرة :﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١].

---

(١) وحي القلم : مصطفى صادق الرافعي ، بدون طبعة ، ٢٠٠٢ م ، المكتبة العصرية . صيدا . بيروت ، ج٢/ ص ١٧٩.

(٢) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج٢/ ص ٥٣٥ ، وانظر (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ج٣/ ص ٩٨) .

(٣) مجموع الفتاوى : شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، و أشرف جلال الشرقاوي ، ب ط ، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦ م ، دار الحديث . القاهرة ، ج٨/ ص ١٨٩ .

شأنان لابد من تربية النفوس عليهما حتى تحظى بالسعادة عند الله : تطهير النفس من إرادة الظلم والإفساد في الأرض ، واتقاء ما يغضب الله من إهمال أحكامه وشرائعه ، وإهمال سننه ونظمه ، وقد نبه القران كثيرا على أوصاف المتقين ، الذين ضمن الله لهم الدنيا وسعادة الآخرة ، فعلينا أن نتدبرها لنعرف كيف تتكون التقوى في النفوس ، وكيف تبد آثارها في نفع البلاد والعباد)[٢].

٧. قد يعجل العقاب على الطغاة والفاسدين في الدنيا :

(الأصل في العقاب لمستحقه أنه يكون في الآخرة ، ولكن قد يعجله الله لمستحقه في الدنيا مع ما ينتظره من عقاب الآخرة ، كما عجل الله عقاب قارون في الدنيا حيث خسف به وبداره الأرض .

وهذا التعجيل إنذار وتحذير قد ينتفع به بعض العصاة فينزجروا عن معصيتهم ، وينتفع به ضعاف الإيمان حيث يتقوى إيمانهم ، ويتعمق إيمان المؤمنين بما يرونه من عقاب بالمجرمين ، ولكن لا يعني هذا أن كل عاص أو كافر ينال بعض العقاب في الدنيا ، وإنما يعني أنه من سنة الله أنه قد يعاقب بعض المجرمين أو الكافرين متى يشاء وكيف يشاء لحكمة ذكرنا بعض وجوهها)[٣].

٨. تصحيح الاعتقاد والسلوك باللجوء إلى التوبة والندم :

كلُ إنسان معرض للخطاء ، وهذا الخطاء قد يكون في العقيدة أو في السلوك أو يكون فيهما معا فالكل يعتبر خطاء ، فعلى الإنسان أن ينظر إلى حاله منتقدا تصرفاته فان وجد خيرا فليحمد الله عليه وان وجد غير ذلك ، وجب عليه التوبة والاستغفار والندم .

عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)) [٤].

وفيما سبق (ذكرنا تمني من تمنى من قوم قارون عندما رأوه وقد خرج عليهم في زينته ، وقالوا عنه : ﴿ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ، و كان هذا خطأ منهم نبههم عليه أهل العلم النافع .

وقد تأكد تنبيه أهل العلم لهم ، وتأكد لأولئك المتمنين أنهم كانوا على خطأ في تمنيهم ، وأن أهل الإيمان على حق في تنبيههم لهم ، وتخطئتهم لهم ، فأعلنوا ندمهم ، والندم توبة ، فقالوا وقد رأوا هلاك قارون : ﴿ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [٥]) [١].

---

(١) سورة القصص الآية ٨٣ .

(٢) إلى القران الكريم : محمود شلتوت ، ب ط ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، دار الشروق . بيروت . لبنان ، ص ١١٢ . ١١٣.

(٣) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٣٦ .

(٤) رواه ابن ماجة : ٣٧.كتاب الزهد ٣٠ . باب ذكر التوبة : رقم الحديث (٤٢٥٢) : ص ٧٠٤ .

(٥) سورة القصص الآية ٨٢ .

(ولا شك في أنه كان لهذه القصة أثرها الكبير في نفوس المؤمنين ، وغالبهم ضعفاء فقراء؛ مما جعلهم لا يبالون بما عند الكافرين من القوة والمال ، ثم إنها صححت النظرة إلى المال والحياة ؛ فالمال وسيلة للحياة الفاضلة وليس غاية في ذاته ، ولا يجوز أن يصبح أداة للفساد والطغيان ؛ والحياة ما هي إلا دار للعمل والابتلاء ، ولا يجوز لأحد أن ينخدع بمتاعها وزخرفها .

والآخرة هي الدار التي يجد فيها كل امرئ جزاء فعله ، وهي التي يجب أن نجعلها نصب أعيننا وغاية أفعالنا لنكون من المفلحين) [٢].

المبحث الثاني
قصة ملكة سبأ

المطلب الأول : شخصية ملكة سبأ :

أولا: تعريف بملكة سبأ :

قال الله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣].

---

(١) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٥٣٧ .

(٢) فلسفة التربية في القران الكريم : ص ١٩٠ .

(٣) سورة النمل الآية ٢٢ . ٢٦ .

(أخبر الله عن رحلة الهدهد إلى سبأ بقوله : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ! وهذا يشير إلى تقصير فترة غياب الهدهد عن جيش سليمان ـ عليه السلام ـ .

كيف مكث الهدهد غير بعيد : مع إن المسافة بين اليمن وفلسطين بعيدة ؟ تزيد على الألفي كيلومتر ، وبينهما بقاع عديدة مثل : نجران وعسير والحجاز ومدين !! كيف مكث الهدهد غير بعيد مع أن المسافة بين اليمن وفلسطين تحتاج إلى شهور لقطعها ؟

لقد كان قطع الهدهد للمسافة الطويلة ، في وقت قصير (معجزة) ربانية ، فالله طوى له الطريق الطويل ، وجعله يجتازها في فترة قصيرة ، ويعود في مدة يسيرة .

ولا ننسى أن الله سخر الريح لسليمان ـ عليه السلام ـ ، غدوُها شهر ورواحها شهر .. وقد يكون لهذه الريح دور في حمل الهدهد إلى اليمن وعودته إلى فلسطين .

ولعلّ غيبة الهدهد عن سليمان ـ عليه السلام ـ لم تزد على يومين ، يوم للذهاب ويوم للعودة.

وقدم الهدهد لسليمان ـ عليه السلام ـ تقريرا عن سبأ ، أرضا وشعبا وملكة وعرشا وديانة)[1].

والتقرير الذي قدمه هدهد إلى نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ اشتمل على جوانب ذات أهمية في حياة المجتمع الإنساني ، وهذه الجوانب كما يلي :

١. (﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ : كان نظام دولة سبأ ملكيا ، وكانت ملكتهم امرأة ، شاهدها الهدهد) [2].

٢. (﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ : أمعن الهدهد نظره في أحوال الملكة ، وفي مظاهر ملكها ، فوجد عندها الكثير ، وأجمل ذلك في هذه الجملة : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا ، مما يحتاج إليه الملك في ملكه ، ويؤدي إلى تقوية الملك ومتانته ، وهذا يعني

---

(١) مواقف الأنبياء في القران تحليل وتوجيه : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣ م ، دار القلم. دمشق ، ص ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر : ص ٣٢٠ .

أن مملكة سبأ كانت قوية غنية مزدهرة في ذلك الوقت ، وتتمتع بالكثير من مظاهر الخير والرفاهة والمتاع ، وها هي أوتيت من كل شيء من متاع الدنيا) [٢].

٣. ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (يعني : سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب ، وأنواع الجواهر واللآلئ) [٢].

٤. (ولاحظ الهدهد شركهم بالله ، وعبادتهم للشمس من دون الله ، واستغرب

هذا الشرك مع أنه طائر ! ولذلك تابع تقريره لسليمان ـ عليه السلام ـ بقوله : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٣])[٤]، ومن فحوى هذا التقرير يمكننا أن نتعرف على ملكة سبأ .

فملكة سبأ : هي امرأة كانت تحكم مملكة سبأ وتشرف على نظامها بحنكة ومهارة فائقة مما ساهم في تقوية البنية التحتية للمملكة وتقوية أنظمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ولم يرد الحديث عن ملكة سبأ في القران الكريم إلا في سورة النمل وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [٥] [٦].

ثانيا : حكمتها وحسن سياستها :

---

(١) نفس المصدر : ص ٣٢٠. ٣٢١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج٦/ ص ١٨٧ .

(٣) سورة النمل الآية ٢٤ . ٢٦ .

(٤) مواقف الأنبياء في القران تحليل وتوجيه : ص ٣٢١ .

(٥) سورة النمل الآية ٢٣ .

(٦) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم بحاشية المصحف الشريف : ص ٧٦١ .

إن شخصية ملكة سبأ تعتبر من شخصيات البارزة في القران الكريم ، وهي صاحبة حكمة قوية وسياسة رائعة ، ويظهر ذلك من خلال ما وقع من حوار بينها وبين قومها ، وما أبدى من أراء سياسية وجيه وتحليلات منطقية سديدة .

ولقد سجّل القران الكريم تلك الحوارات ، والتقط تلك الصور من مشاهد واقعية في مملكة سبأ .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [1].

طلبت الملكة مشورة القوم ورأيهم ، حيث أخبرتهم بأنها ما كانت لتقدم على أمر من أمور الدولة إلا بعد مشاورتهم وسماع أرائهم .

فاستجابت قومها لهذه الرغبة الملوكية وقالوا نحن أصحاب كثرة في الرجال والعتاد وأصحاب شدّة في الحرب وأمرنا إليك فمرينا بما شئت نتمثل أمرك وقولهم هذا دليل على الطاعة المفرطة [2].

(قال الحسن البصري[3] ـ رحمه الله ـ :

---

(١) سورة النمل الآية ٣٢ ـ ٣٦ .

(٢) صفوة التفاسير : ص ٣٥٢ . بتصرف .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ ، وشب في كنف علي بن أبي طالب ، وسكن البصرة ، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة ، قال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء ، وأقربهم هديا من الصحابة ، وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحمكة من فيه ، توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ ، انظر (الأعلام للزركلي

فوضوا أمرهم إلى عِلْجة تضطرب ثدياها، فلما قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده وجيوشه ، وما سُخّر له من الجن والإنس والطير، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا) [1].

(عندما اسند القوم قرار المصير إليها لتأمرهم بما تشاء كانت أحزم منهم رأيا وأعلم بنتائج الحروب فقررت اختبار سليمان ـ عليه السلام ـ أهو ملك أم نبي ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [2]) [3].

(وأبرز القران حصافتها[4]في فهم طبيعة ملوك الدنيا الذين يفسدون القرى ويهلكون الحرث والنسل ، لكن نص رسالة سليمان مختلف عن طبيعة الملوك ، فلجأت للملاينة ، وبعثة بهدية) [5].

(قال قتادة ـ رحمه الله ـ :
ما كان أعقلها في إسلامها وفي شركها!! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس)[6].

ثالثا : ذكاءها :

: ج٢/ ص ٢٢٦) .

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٦/ ص ١٨٩ .

(٢) سورة النمل الآية ٣٤ .

(٣) المرأة في التصور القرآني : ص ٦٠٥ .

(٤) حصف : الحاء والصاد والفاء أصل واحد ، وهو تشدُّد يكون في الشيء وصلابة وقوة ، فيقال : لركانة العقل : حصافة ، وللعدو الشديد إحصاف ، انظر (مقاييس اللغة : ص ٢١١) .

(٥) التفسير التربوي للقران الكريم : ج٢/ ص ٥٢٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم: ج٦/ ص١٩٠ .

لقد كانت ملكة سبأ متصفة بذكائها وحنكتها ، ويتبين ذلك من تصرفاتها وطريقة تفكيرها ، فالقران الكريم يخبرنا عن طريقة إجابتها عندما سئل عن عرشها ، فأجابت بطريقة ذكية يدل على ذكاءها وحصافة عقلها.

(فردّت بإجابة لا بالإثبات ولا بالنفي فقالت : ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ ، ذكاءها عال جدا)[1].

قال الله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[2].

(العرش جاء واستقر عند سليمان ـ عليه السلام ـ فأمر بنصبه وتجهيزه ؛ لأن بلقيس قادمة إليه في الطريق ، وهو يريد أن يختبرها اختبارا عقليا واختبارا إيمانيا ، فأمر بأن ينكِروا عرشها ، فقال لهم : ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [3].

كلمة : ﴿ نَكِّرُوا۟ ﴾ عكس عرفوا ، فعرشها جاء على هيئته كما كان في سبأ ، فلو أنها جاءت ورأته كما هو ستعرفه بسهولة ، ولا يعرف سليمان ذكاءها في الجواب ، فأمرهم أن ينكروا لها العرش ، بأن يغيروا بعض معالمه ، مثلما تقول : فلان متنكر أي غير ملامحه ؛ حتى لا يعرفه أحد ، فكذلك أمرهم أن يفعلوا بالعرش ، لكن شكله العام ظل كما هو ؛ وذلك حتى يختبر سليمان ذكاءها ، فهو يريد أن يختبرها عقليا وإيمانيا ، وقوله : ﴿ نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ إن كان المقصود به الهداية الإيمانية فهو أن تهتدي إلى الإسلام ، وان كان عقليا بأن تهتدي إلى الجواب الصحيح . وحينما سألها لو قال لها : أهذا عرشك كان معنى السؤال يوحي بالجواب ، لكنه حاول أن يعمي عليها في السؤال فقال لها : ﴿ أَهَٰكَذَا

---

(١) قراءة جديدة في قصص الأنبياء : عمرو خالد ، ط ٣ ، ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧ م ، دار المعرفة . بيروت. لبنان ، ص ٤٢٢.

(٢) سورة النمل الآية ٤٢ .

(٣) سورة النمل الآية ٤١ .

عَرْشُكِ ﴾[1]، فكأنه يقول لها : إن هذا ليس عرشك ، ولكنه قال : هل عرشك مثله ؟ فهو يريد أن يختبرها فصعب عليها السؤال فماذا قالت هي ؟ نظرت إلى العرش فوجدته مثل عرشها، ولكن التنكير الذي حدث له يدل على أنه ليس عرشها ، فجاءت بجواب يحتمل الحالتين معاـ جواب دبلوماسي ـ فماذا قالت ؟ .

قالت: ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ فعرف سليمان من هذه الإجابة أنها ذكية وحصيفة وعاقلة .

هذا بالنسبة لهداية الإيمان ، فهي لكي تعلم أنها تركت عرشها هناك في بلادها ، وجاءت إلى سليمان فكيف جاء سليمان بالعرش بهذه السرعة مع أنها تركته خلفها ؟ ! فلا بد أن هذه قدرة فوق مستوى البشر ، وعليه فسليمان وجنوده محقون في أنهم يدعون إلى الحق ، فجاء كلام بلقيس كلاما دبلوماسيا ، والكلام الدبلوماسي هو الكلام الذي يصلح لأي واقع بعده ، وجوابها الدبلوماسي في قولها : ﴿ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾)[2].

قال الإمام البقاعي[3]ـ رحمه الله ـ :

(وذلك يدل على ثبات كبير ، وفكر ثاقب ، ونظر ثابت ، وطبع منقاد ، لتجويز

المعجزات والإذعان لها مع دهشة القدوم ، واشتغال الفكر بما دهمها من هيبته وعظيم أمره) [1].

---

(١) سورة النمل الآية ٤٢ .

(٢) قصص الأنبياء : الشيخ محمد متولي الشعراوي : ج٤/ ص ٢٢٦٨ . ٢٢٦٩ .

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ، بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي ، برهان الدين أبو الحسن ، العلامة المحدث الحافظ . ولد سنة تسع وثمانمائة ، ومهر وبرع في الفنون ودأب في الحديث ، ورحل وسمع من البرهان الحلبي ، والبرهان الواسطي ، والتدمري، والمجد البرماوي ، والبدر البوصيري ، وخلقٌ يجمعهم معجمه الذي سماه ' عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران ' . وله تصانيف كثيرة حسنة منها كتاب ' الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسور ' و ' النكت على شرح ألفية العراقي ' و ' النكت على شرح العقائد ' وغيرها من المصنفات ، وكانت وفاته في سنة ٨٨٥ هـ ، انظر (نظم العقيان في أعيان الأعيان : جلال الدين السيوطي ، بدون ط ، الكتبة العلمية – بيروت ، ص ٢٤ . ٢٥) ، وانظر (طبقات المفسرين للداودي : ج١/ ص٣٤٨) .

وأما قوله تعالى :﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ، (فيحتمل أنْ يكون امتداداً لقوْل بلقيس ، يعني : أوتينا العلم من قبل هذه الحادثة ، وعرفنا أنك نبيّ لما رددتَ إلينا الهدية ، وقلت ما قلت ، فلم نكُنْ في حاجة إلى مثل هذه الحادثة لنعلم نُبوّتك ، ويُحتمل أنها من كلام سليمان عليه السلام)[٢] .

المطلب الثاني : ملكة سبأ تتشاور مع قومها :

(أخبر الهدهد سليمان ـ عليه السلام ـ عن مملكة سبأ ، وعبادتهم للشمس من دون الله ، وعن عرش ملكتهم العظيم ، وحمّله سليمان ـ عليه السلام ـ رسالة إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وطلب منه الانتظار لمعرفة موقفهم

قال الله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[٣] .

وحمل الهدهد الكتاب من سليمان ـ عليه السلام ـ ، وذهب به إلى سبأ ، وألقاه إلى الملكة ، ولما قرأت الملكة الكتاب ، فهمت دعوة سليمان ـ عليه السلام ـ ، وأنها إن لم تدخل في الإسلام ، فسوف يعلن عليها الحرب ، وعرفت أنها مقدمة على تطورات خطيرة ، وأحداث كبيرة .

جمعت ملكة سبأ مجلس الشورى عندها ، ودعت الملأ المستشارين إلى التفكير في الأمر ، وطلبت مشورتهم ، وأخبرتهم أنها لا تقطع أمرا من أمور الدولة إلا بعد موافقتهم ورضاهم واستشارتهم ..

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ج٥/ ص ٤٢٨ .

(٢) تفسير الشعراوي : ج١٧ / ص ١٠٧٩١ .

(٣) سورة النمل الآية ٢٨ .

قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1])[2] .

قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي ﴾ ، (أي : بينوا لي ما أفعل وأشيروا عليّ)[3].

(إن ملكة سبأ قرأت الكتاب وعرفت مضمونه وما فيه فجمعت ((الملأ)) من قومها ، لتشاورهم بشأن هذا الكتاب الذي ألقي إليها ، كتاب سليمان وما طلبه فيه .

والملأ هم أشراف قومها ينوبون مناب الجميع ، فقالت لهم : ﴿ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [4] ، والظاهر أنها أبلغتهم بمضمون الكتاب ، أو قرأته عليهم ، والظاهر أنها أخذت ما في كتاب سليمان مأخذ الجد ، لما فيه من الحزم والاستعلاء ، والظاهر أنها رأت في نفسها أن المقاومة أو الخصومة مع سليمان لا تفيد وأنها أرادت أن تشعر الملأ بذلك ، فمهدت لما تريد بوصفها الكتاب بأنه : ﴿ كَرِيمٌ ﴾ ثم طلبت منهم المشورة بقولها : ﴿ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي ﴾ والفتوى : طلب الجواب في الحادثة من المفتي الذي يستفتى فيها .

والمراد بالفتوى التي طلبتها الملكة من الملأ : الإشارة عليها بما عندهم من الرأي والتدبير بشأن هذا الكتاب ـ كتاب سليمان ـ عليه السلام ـ وما طلبه فيه ـ والظاهر أن الملكة أرادت

---

(١) سورة النمل الآية ٢٩ . ٣٥ .

(٢) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار النفائس . عمان . الأردن ، ص ٢٥٠ . ٢٥١ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، ط ٣ ، ١٤٠٤هـ ، المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان ، ج٦/ ص ١٦٩ .

(٤) سورة النمل الآية ٣٢ .

بالرجوع الى مشاورتهم واستطلاع آرائهم : تطيب نفوسهم ، ولتختبر مدى عزمهم على مقاومة سليمان إذا آل الأمر إلى مقاومته ومخاصمته .

وقد ذكّرتهم بأن مشاورتهم والرجوع إلى معرفة آرائهم من الأمور المعتادة والمطّردة عندها في تدبير شؤون المملكة ، وفيها يعرض لها من الأمور المهمة) [1].

وقوله تعالى : ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ ، أي : إن الملكة أخبرت قومها في وضوح وجلاء أنها لا تقدم على أيّ أمر إلا بعد حضورهم ومشورتهم [2].

(وصيغة (كنت قاطعة) تؤذن بأن ذلك دأبها وعادتها معهم ، فكانت عاقلة حكيمة مستشيرة لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها ولا تعرِّض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين)[3].

(إن هذا الموقف من الملكة ، وإخبارها ملأ قومها بتفاصيل حادثة الكتاب ، وطلبها الرأي والمشورة منهم ، وإعلان حرصها على ذلك ، يدل على طبيعة نظام الحكم في سبأ ، الذي كانت تمارسه تلك الملكة .

لقد كان حكما متكاملا ، يقوم على مشاركة وجوه القوم وزعمائهم للملكة في إدارة أمور البلاد ، وكانت تحيط نفسها بهؤلاء الملأ المتنفذين المستشارين ، وتعرض عليهم القضايا ، وتستشيرهم في المشكلات ، وتحرص على سماع آرائهم ، والاستفادة منها ، واعتماد المناسب منها .

وهو أشبه ما يسمى بنظام الحكم ((الديمقراطي)) في هذا العصر !!

---

(١) المستفاد من قصص القران للدعوة والدعاة : ج١/ ص ٤٣٥ .

(٢) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل : الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : أحمد بن علي ، وحمدي صبح ، ب ط ، دار الحديث . القاهرة ، ج ٧ / ص ٥١٣ .

(٣) التحرير والتنوير : ج١٩/ ص ٢٦٣ .

وهذه مزية تسجل لنظام الحكم في سبأ في ذلك الزمان البعيد ، باعتبار سبأ مملكة عربية أقيمت في بلاد اليمن ، ونشأ نظام حكمها على مشاركة الملأ والوجوه للملكة في الحكم والقيادة .

مزية تسجل لهم رغم كفرهم بالله ، ولهم سبق زمني في هذا النوع من الحكم) [1].

المطلب الثالث : ملكة سبأ تمتحن سليمان ـ عليه السلام ـ :

(أرادت ملكة سبأ اختبار سليمان ـ عليه السلام ـ ، ومعرفة مدى جديته في الدعوة إلى الإسلام ، وهل هو رجل دعوة أو متاجر بالدعوة ، ولذلك قدمت له المال رشوة ليكفّ عنها، ويدعها مع شركها وكفرها) [2].

قال الله تعالى :﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [3].

قال الإمام القرطبي[4]ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :

(هذا من حسن نظرها وتدبيرها ؛ أي إني أجرب هذا الرجل بهدية ، وأعطيه فيها نفائس من الأموال ، وأغرب عليه بأمور المملكة ؛ فإن كان ملكا دنياويا أرضاه المال وعملنا معه

---

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٥٤١ . ٥٤٢ .

(٢) مع قصص السابقين في القران : د . صلاح عبد الفتاح الخالدي ، ط ٥ ، ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧ م ، دار القلم . دمشق ، ص ٦٤٩ . ٦٥٠ .

(٣) سورة النمل الآية ٣٥ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الإمام ، العلامة ، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي. إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله ، وقد سارت بتفسيره . مسمى بجامع أحكام القرآن . العظيم الشأن الركبان ؛ وهو كامل في معناه. وله كتاب ((الأسنى في الأسماء الحسنى))، وكتاب ((التذكرة)) ، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه. توفي في أوائل السنة ٦٧١ هـ ، ، انظر (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، ج ٥٠/ ص ٧٥) .

بحسب ذلك ، وإن كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في أمر الدين ، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه ، فبعثت إليه بهدية عظيمة ..)[1] .

(﴿ فَنَاظِرَةٌ ﴾ فمنتظرة ﴿ بِمَ ﴾ أي ب ((ما)) لأن الألف تحذف مع حرف الجر في الاستفهام ﴿ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ : بقبولها أم بردها لأنها عرفت عادة الملوك وحسن مواقع الهدايا عندهم ، فإن كان ملكاً قبلها وانصرف ، وإن كان نبياً ردها ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه) [2].

(جهزت ملكة سبأ هدية ثمينة لسليمان ـ عليه السلام ـ ، ولا تعنينا معرفة أصناف الهدية ومحتوياتها ، لعدم وجود نصوص صحيحة تخبرنا بذلك ، ولا يضرنا الجهل به ، كلُ ما نقوله : كانت هدية ثمينة ، هدية ملكة غنية ، لملك كريم ، تستعطفه وتسترضيه ، وتدعوه إلى المسالمة والمهادنة .

وحمل وفد من قومها الهدية ، وغادروا اليمن متوجهين إلى سليمان ـ عليه السلام ـ بفلسطين .

وكانت الملكة تنتظر نتيجة زيارة الوفد ، وردّ سليمان على تلك الهدية) [3].

---

(١) الجامع لإحكام القران : ج١٣/ ص ١٢٩ .

(٢) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج٢/ ص ٢٣٦ .

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث : ج٣/ ص ٥٤٦ .

المطلب الرابع : سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وموقفه من الهدية :

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[1].

أولا : أوجه القراءات القرآنية :

﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ خطاب للرسول ومن معه ، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب ، وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء [2].

ثانيا : المعنى العام :

(ترسم الآيات صورة للداعي إلى الله في رده على الرشوة ، وهو يستنكر ذلك من أنه لا يريد المال ؛ لأن الأمر أمر عقيدة ، والله منّ عليهم بالملك والعلم وغير ذلك وقبل ذلك بالنبوة ، فكيف يقبل التخلي عن دعوته بمال ، وسليمان يدرك أن هذا الرد سينهى الأمر مع

---

(١) سورة النمل الآية ٣٦ . ٣٧ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي : ج٢/ ص ٧٦٩ بتصرف .

ملكة لا تريد العداء كما يبدو من طريقتها في مقابلة رسالته القوية ! ويرجح أنها ستجيب دعوته ، أو يؤكد ، وقد كان)[1] .

قال الإمام النسفي ـ رحمه الله ـ :

(والمعنى إن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع ، وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم ، وحالي خلاف حالكم وما أرضي منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية)[2] .

(ومعنى : ﴿ تَفْرَحُونَ ﴾ يجوز أن يكون تُسرُّون ، ويجوز أن يكون تفتخرون ، أي أنتم تعظم عندكم تلك الهدية لا أنا ، لأن الله أعطاني خيراً منها .
وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في (أنتم تَفرحون) لإفادة القصر ، أي أنتم ، وهو الكناية عن رد الهدية)[3].

وتوعدهم سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وهددهم بأنه مرسل إليهم جيشاً لا قِبَل لهم بحربه [4].

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ ، (جنود لم تسخر للبشر في أي مكان ، ولا طاقة للملكة وقومها بهم في نضال)[5] .

---

(١) التفسير التربوي للقران الكريم : ج٢/ ص ٥٢١ .

(٢) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ج٢/ ص ٢٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير : ج١٩/ ص ٢٦٩ .

(٤) نفس المصدر : ج١٩/ ص ٢٦٩ بتصرف .

(٥) في ظلال القران : ج٥/ ص ٢٦٤٠ .

(﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ والذل أن يذهب عنهم ما كان عندهم من العز والملك والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكاً)[1].

قال الامام ابن كثير ـ رحمه الله ـ :

(﴿ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ : أي مهانون مدحورون .

فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها، وبما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة، معظمة لسليمان ـ عليه السلام ـ ، ناوية متابعته في الإسلام. ولما تحقق سليمان ـ عليه السلام ـ قدومهم عليه ووفودهم إليه، فرح بذلك وسَرّه)[2].

ثالثا : سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ رفض الهدية واعتبرها رشوة :

(وقد أبى سليمان قبول الهدية لأن الملكة أرسلتها بعد بلوغ كتابه ولعلها سكتت عن الجواب عما تضمنه كتابه من قوله : ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [3]، فتبيّن له قصدُها من الهدية أن تصرفه عن محاولة ما تضمنه الكتاب ، فكانت الهدية رشوة لتصرفه عن بثّ سلطانه على مملكة سبأ)[4].

(إن ملكة ((سبأ)) قد استخدمت سلاح ((الإغراء بالمال)) ـ أو الرشوة ـ لتقف به أمام رسالة ((سليمان)) ـ عليه السلام ـ .

---

(١) مفاتيح الغيب : ٢٤/ ص ١٦٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج٦/ ص ١٩١ .

(٣) سورة النمل الآية ٣١ .

(٤) التحرير والتنوير : ج١٩/ ص ٢٦٨ .

وقد أطلقت على هذه الرشوة كلمة ((هدية)) .. لأنّ اسم الرشوة صريح مكشوف ، وقد ينفر منه الراشون والمرتشون ، فيلجأون إلى اسم مموَه ، وهو الهدية .

ولكن ((سليمان)) ـ عليه السلام ـ ليس من ذلك النوع المرتشي ، لأنّ حامل الرسالة وصاحب الدعوة ، لا يبيع دعوته بثمن ، ولا يسكت عن رسالته مهما كان الثمن !

كذلك كان ((سليمان)) ـ النبي الحكيم عليه السلام ـ من الفطنة والذكاء ، بحيث اكتشف الغرض الحقيقيَ لملكة ((سبأ)) ، ولذلك رفض هديتها ـ أو رشوتها ـ باستعلاء واعتزاز ، وهدَدها بالحرب إن استمرّت على هذا الأسلوب التجارية

الـــرخيص : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [1])[2].

(لقد فتن الناس منذ بدء الخليقة وكان موجههم في كل ذلك تصرفاتهم ، وظنت بلقيس إن سليمان كغيره من الناس تؤثر عليه إغراءات المال ولذلك أرسلت إليه بهدية تمتحن بها جوهره لترى آثارها في نفسه ، وهل تكون هذه الهدية مدعاة لسكوته والإغضاء عن دعوته لله ، وعن الغزو الذي هددها به ، ولكن لم تجد بلقيس من سليمان سوى هذه الكلمة : ﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ .

كلمة أطلقها سليمان لتكون دستورا لمن بعده وليقولها بعده كل مصلح ، وكل زعيم وكل قاض عندما يعرض عليه أهل الباطل رشوة للسكوت عن فسادهم ومجاراتهم في باطلهم .

كلمة قالها سليمان تتركز فيها القيم السامية والتمسك بالحق والترفع عن جميع إغراءات الدنيا من جاه ومال ومناصب عالية)[3].

إن الصمود أمام إغراءات شتى يتعرض لها الدعاة والمصلحين على أيدي أصحاب الأهواء والضلال ، ما هي إلا دلالة على رسوخ الإيمان والعقيدة في شخصية الداعية المؤمن ، ويدل كذلك على صدق رسالته ومنهجه .

---

(١) سورة النمل الآية ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) لطائف قرآنية : ص ١١٧ .

(٣) مع الأنبياء في القران الكريم : عفيف عبد الفتاح طباره ، ط ٨ ، ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين . بيروت . لبنان ، ص ٣٠١ .

وعند تصفحنا للتاريخ نجد قمما علياء من الدعاة والمصلحين الذين أبوا إلا الاستمرار في الدعوة والإصلاح وبناء المجتمع على أسس إيمانية وأخلاقية .

(الدعاة أحوج الناس إلى عزائم ثابتة ، وقلوب صابرة على احتمال المصائب والمحن التي يلاقونها في سبيل الدعوة ، حتى يبلغوا الغاية التي يريدونها ، أو يموتوا في طريقها) [١].
ونجد هذه الصفات ـ الصمود والثبات والصبر ـ مجسدا في سيد الدعاة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ حيث واجه المشركين وإغراءاتهم بقلب قد امتلاء إيمانا وصدقا وإخلاصا وعبودية لله سبحانه وتعالى .

قال ابن إسحاق[٢]ـ رحمه الله ـ :

(أنّ عُتْبَة بْنَ رَبِيعَة ، وَكَانَ سَيّدًا ، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ ، وَرَسُولُ اللّهِ ـ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَلَا أَقُومُ إلَى مُحَمّدٍ فَأُكَلّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيّهَا شَاءَ وَيَكُفّ عَنّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ [٣]وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللّهِ ـ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ فَقَالُوا : بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ قُمْ إلَيْهِ فَكَلّمْهُ فَقَامَ إلَيْهِ عُتْبَةُ حَتّى جَلَسَ إلَى رَسُولِ اللّه ـ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النّسَبِ وَإِنّك قَدْ أَتَيْت قَوْمَك بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ

---

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي المجموعة الكاملة : قدم لها وشرح نصوصها مجيد طراد ، ب ط ، ١٤٢٩هـ.٢٠٠٩ م ، مؤسسة المعارف . بيروت . لبنان ، ص ١٦١ .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن يسار احد الأعلام صدوق قوي الحديث إمام لا سيما في السير ، قال أبو زرعة الدمشقي: ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم : سفيان، وشعبة ، وابن عيينة ، والحمادان، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد، وروى عنه من القدماء: يزيد بن أبي حبيب ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخيرا مع مدح ابن شهاب له ، وعلماء المحدثين متفقون على صحة الاحتجاج برواياته في السير والمغازي وان اختلفوا في الاحتجاج في الحلال والحرام ، توفي سنة ١٥٠ هـ ، انظر (سير أعلام النبلاء : ج ٧/ ص ٤٢) ، وانظر (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : ج٦/ ص٧) وانظر (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : محمد جمال الدين القاسمي ، ط١ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ص ١١٤) .

(٣) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو يعلى وقيل : أبو عمارة كني بابنيه : يعلى وعمارة ، أسلم في السنة الثانية من المبعث ، وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأبلى بلاء عظيما مشهورا قتل شيبة بن ربيعة بن عبد شمس مبارزة وشرك في قتل عتبة اشترك هو وعلي رضي الله عنهما في قتله وقتل أيضا طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف أخا المطعم بن عدي ، وشهد أحدا فقتل بها يوم السبت النصف من شوال وكان قتل من المشركين قبل أن يقتل واحدا وثلاثين نفسا ، (أنظر انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة : ج٢/ ٦٦) .

وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنّي أعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا . قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ قَالَ يَا ابْنَ أَخِي ، إنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا ، حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك ، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك ، طَلَبْنَا لَك الطّبّ ، وَبَذَلْنَا فِيهِ غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ . حَتّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ اللّه ـ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ ـ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاسْمَعْ مِنّي ؛ قَالَ أَفْعَلُ فَقَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ : ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾[1]، ثمّ مَضَى رَسُولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ اللّه صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمّ قَالَ قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْت وَذَاكَ فَقَامَ عُتْبَةُ إلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَحْلِفُ بِاَللّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الّذِي ذَهَبَ بِهِ . فَلَمّا جَلَسَ إلَيْهِمْ قَالُوا : مَا وَرَاءَك يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ وَرَائِي أَنّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاَللّهِ مَا سَمِعْت مِثْلَهُ قَطّ ، وَاَللّهِ مَا هُوَ بِالشّعْرِ وَلَا بِالسّحْرِ وَلَا بِالْكِهَانَةِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي ، وَخَلّوا بَيْنَ هَذَا الرّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ فَوَ اَللّهِ لَيَكُونَنّ لِقَوْلِهِ الّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وَعِزّهُ عِزّكُمْ وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النّاسِ بِهِ قَالُوا : سَحَرَك وَاَللّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ قَالَ هَذَا رَأْيِي فِيهِ فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ)[2].

---

(١) سورة فصلت الآية ١ ـ ٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ص ٢٢٠. (وانظر الرحيق المختوم : ص ١٠٠ ـ ١٠١) .

(إن المغريات التي قدمت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من زعماء قريش نادرة ولن يجود الزمان بمثلها فهذه المغريات والعطاءات تسمى رشوة نعم إنها رشوة ليتوقف النبي عن دعوته كما مر معنا وإنها لن تتكر فالأموال تبذخ بلا حدود وكذلك الملك فالرسول لا يريد المال ولا الملك لأنه خير بين العبدية والملكية فاختار

العبدية فقال له جبريل أتحب أن تكون نبيا ملكا أم نبيا عبدا قال : ((بل أكون نبيّا عبدا أجوع يوما فأسأل الله وأشبع يوما فأحمد الله))[1])[2].

والتاريخ يعيد نفسه في هذه الأيام وكأن المجرمين والفاسدين يتوارثون العداء للإسلام ودعاته الصادقين ، فنرى كثيرا من الأنظمة والأحزاب الضالة والهيئات المنحرفة المناهضة للقيم والأخلاق والأديان حيث يبذلون جهدا كبيرا في سبيل إبعاد الدعاة والمصلحين عن أهدافهم السامية ، وذلك باضطهادهم وإرهابهم تارة ، وبشراء ذممهم تارة أخرى .

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يحفظ الدعاة الصادقين وعباده المخلصين المصلحين من الوقوع في الفتن ومكائد الملحدين .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [3].

رابعا : لطائف الآية :

---

(١) لم أجد سندا لهذا الحديث فيما بحثت في كتب السنة ، ولكن أخرج الإمام النسائي في سننه عن محمد بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : كان بن عباس يحدث أن الله تبارك وتعالى أرسل إلى نبيه (صلى الله عليه و سلم) ملكا من الملائكة ومعه جبريل فقال الملك إن الله يخيرك بين أن تكون عبدا نبيا وبين أن تكون ملكا فالتفت رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جبريل كالمستشير فأشار جبريل بيده أن تواضع فقال رسول الله (صلى الله عليه و سلم) : ((بل أكون عبدا نبيا)) قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاما متكئا ، انظر (سنن النسائي الكبرى : ج٤/ ص ١٧١) .

(٢) الرشوة صورها . حكمها . آثارها . علاجها : الشيخ عبد اللطيف الشامي ، ط١ ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩ م ، فصلت للدراسات والترجمة والنشر . حلب . سوريا ، ص ٤٥ .

(٣) سورة الطارق الآية ١٥ . ١٧ .

اشتملت هذه الآيات على عدّة لطائف ودلالات مهمة جديرة بالوقوف عليها وهي كما يأتي :

١. (الهدية لم ترد في القران إلا مرتين ، في سياق واحد لقصة واحدة ، في سورة واحدة .
وردت مرتين في سورة النمل ، في سياق قصة سليمان ـ عليه السلام ـ مع ملكة ((سبأ)))[١].

٢. (وردت كلمة ((الهدية)) في القران في سياق الذم ، وليس معنى هذا أن الهدية دائما مذمومة منهيٌ عنها ، ولكنها مذمومة إذا كانت رشوة ومحمودة مسنونة إن كانت ((هدية)) لوجه الله ، لورود أحاديث صحيحة تأمر بها وتحث عليها)[٢] .

٣. (وردت ((الهدية)) في القران بمعنى الرشوة)[٣].

٤. (كانت ملكة ((سبأ)) أوّل من حرّف وزوّر وتلاعب بالمصطلحات ، حيث أطلقت على الرشوة كلمة ((هدية)) ثم سار المحرفون المزورون على طريقتها ، فصاروا يسمون الرشاوي هدايا .
ولقد ((تفنّن)) هؤلاء في هذا الزمان في التحريف والتلاعب . فما أكثر ما تقدّم الرشاوي للمسؤلين والموظفين باسم ((هدايا))) [٤].

٥. (إننا نعجب بفطنة وذكاء ((سليمان)) ـ عليه السلام ـ واستعلائه على الرشوة والإغراء بالمال ، وندعو الموظفين والمسؤولين ليقتدوا به في موقفه)[٥] .

---

(١) لطائف قرآنية : ص ١١٦ . (وانظر المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم بحاشية المصحف الشريف : ص ٨٢٧) .

(٢) لطائف قرآنية : ص ١١٧ .

(٣) نفس المصدر : ص ١١٨ .

(٤) نفس المصدر : ص ١١٨ .

(٥) نفس المصدر : ص ١١٨ .

المطلب الخامس : فوائد قصة ملكة سبأ :

لقد أبرزت قصة ملكة سبأ جوانب عديدة من حياة الإنسانية ، ومن هذه الجوانب المهمة ، وهي إدارة الدولة وسياستها ، وتطبيق نظام الشورى ، واستخدام الرشوة كوسيلة للتأثير على الآخر إلى غيره من الجوانب التي لا تخلوا دراسته من فائدة وحكمة .

وكانت لهذه القصة انعكاسات كبيرة في المجتمع الإسلامي المتمثلة في عصر النبوة والخلافة الراشدة .

وإتماما للفائدة يرى الباحث أن يقف مع هذه الفوائد التي يحتضنها القصة بشيء من التفصيل :

١. المرأة في الإسلام :

(إن الإسلام رفع مكانة حواء ، وكانت نظرته إليها إنسانية وليس هذا فحسب ، وإنما ألقى عن كاهلها ((اللعنة)) التي ألصقتها المعتقدات الغابرة بزعمها أنها هي السبب في إغواء ـ ادم ـ وإخراجه من الجنة .

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1])[1] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٥ . ٣٦ .

لا ريب إن الإسلام أحدث تغيرات كبيرة في المفاهيم والتشريعات الخاصة بالمرأة ، فقد واجه الإسلام واقعا إنسانيا وتاريخيا مثقلا بكافة أنواع الظلم والاضطهاد للمرأة ، كتكوين ودور واستحقاق ، ولعل ابرز معالم هذا الاضطهاد ، هو اعتبار المرأة ناقصة الإنسانية وأساس الخطيئة وقرينة الشيطان المنتج للشر والانحراف ، ولم تنج العديد من المدارس الفلسفية والدينية من اسر هذه النظرة الخاطئة في كثير من العصور ، بل إن استقراء الواقع التاريخي يفيد بان معظم الحقوق الطبيعية التي نالتها المرأة لم ينلها إلا في العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر .

لقد اعتمد الإسلام نظرة مغايرة للمرأة انطلاقا من رؤيته العقدية للوجود الإنساني برمته ، فقد نهض بذاتها من التخطئة إلى التطهر ، ومن الدونية إلى التكامل ، ومن الإهمال إلى الريادة ، ومن الانزواء إلى الفاعلية .

لقد كان لتوجيهات القران الكريم آثارا طيبة في تحسين الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي للمرأة في المجتمع . فقصة ملكة سبأ تعتبر خطوة مهمة نحو إبراز شخصية المرأة وما لها من إمكانيات وطاقات .

قال الله تعالى : ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

بعد أن عانى المرأة القساوة والمرارة في الحياة في ظل الفلسفات والأديان الوضعية والمنحرفة ؛ جاء الإسلام لينصف المرأة حقها حيث جاءت ذكرها في القران الكريم والسنة النبوية على نطاق واسع ، وكان للمرأة الحظ الوافر من وصايا النبوية الشريفة .

فكان عليه السلام يقول : ((خيركم خيركم للنساء)) [٣] .

---

(١) ويسألونك عن المرأة : عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ. ١٩٨٥ م ، مطابع ثنيان بغداد. بغداد ،ص ٤٠.

(٢) سورة النمل الآية ٢٣ .

(٣) المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص ، ط ١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ج٤ / ص ١٩١ .

و ((...ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم))[١].

هذه هي المنزلة التي تبوأتها المرأة في الشريعة الإسلامية .

وهذه هي المعاملة التي أوجبتها آداب الإسلام على المسلمين كافة ، وهي أرفع من كل أدب ترقّت إليه الجاهلية في الجوانب التي تهذبت فيها معاملة المرأة بين ذوي السيادة والحضارة من أهلها ، وأضيفت إليها على عهد الإسلام جوانب شتى لم يكن للمرأة فيها أيسر نصيب من رعاية أو إنصاف [٢].

٢. الشورى سبيل كل خير ونجاح :

(الشورى ركيزة الحكم الصالح في أي عهد ، وفي كل بلد ، وقد تقرر هذا المعنى في أذهان الناس من فجر الخليقة إلى عصرنا هذا .

وقد احترم الإسلام الشورى ، وما كان له أن يفعل غير هذا ، وبنى عليها النبي العظيم حكمه ، وكذلك فعل الراشدون من خلفائه)[٣].

(مبدأ الشورى من أهم المبادئ الدستورية الإسلامية إن لم نقل إنه أهمها جميعا . وتكاد المصادر الإسلامية التي عنيت ببحث المسائل المتعلقة بنظام الحكم في الدولة الإسلامية أن تجمع على أهمية الشورى وتصدُرها مبادئ الإسلام السياسية)[٤].

الآيات التي تناولت قصة ملكة سبأ فيها (إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبداً برأيه، ويكون مشاوراً في جميع ما سنح له من الأمور لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم) [١].

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : ج١٦/ ص ٣٧١ .

(٢) الصديقة بنت الصديق : عباس محمود العقاد ، ط٨ ، ٢٠١٠م ، نهضة مصر . شارع أحمد عرابي . جيزة . مصر ، ص ١٦ بتصرف .

(٣) في موكب الدعوة : محمد الغزالي ، ب ط ، ٢٠٠٢م ، نهضة مصر . شارع أحمد عرابي . جيزة. مصر ، ص ١٣٥ .

(٤) في النظام السياسي للدولة الإسلامية : محمد سليم العوّا ، ط٣ ، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٨ م ، دار الشروق . القاهرة . مصر ، ص ١٨١ .

(فالشورى نظام أثبت صلاحيته لخير الأمم ، فرأي الجماعة أرجح وأصوب من رأي الفرد، وعقول مجتمعة أنفع من عقل واحد .

والقران الكريم يقدم لنا درسا في الأخذ بنظام الشورى إذ يقص علينا قصة ملكة سبأ عندما تلقت تهديد سليمان بالزحف على مملكتها ،ماذا كان موقفها من ذلك ؟ هل انفردت باتخاذ موقف ما وطلبت تنفيذه ؟ لا ! لقد جمعت أشراف قومها ، وقالت لهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [٢].

هذا القول يتركز فيه مبدأ الشورى الذي أخذت به دساتير العالم المتمدن وأطلقت عليه أسماء مختلفة : كمجلس النواب ومجلس الشيوخ إلى مجلس الشعب وغير ذلك من المسميات .

فالشورى دعامة من دعائم الحكم الصالح تجلب الخير للأمة وتجنبها الأضرار التي يمكن إن تصدر عن أهواء قادتها ومطامعهم ، وغاياتهم الشخصية .

فمبدأ الشورى قررته ملكة سبأ على نفسها ونوّه به الإسلام واعتمده مبدأ من مبادئ الحكم الإسلامي ، ففي القران يخاطب الله رسوله محمدا : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [٣]. كما أثنى الله على المؤمنين الذين جعلوا الشورى قاعدة للحكم بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [٤]) [٥].

قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ :

ما تشاور قوم قط بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضرهم ، وفي لفظ إلا عزم الله لهم بالرشد أو بالذي ينفع [١].

---

(١) روح البيان في تفسير القران : الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسي ، ضبط وتصحيح ، عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، ط٢ ، ١٤٣٠ هـ. ٢٠٠٩ م ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ، ج٦/ ص ٣٦٦ .

(٢) سورة النمل الآية ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٤) سورة الشورى الآية ٣٨ .

(٥) سورة الشورى الآية ٣٨ .

وفي غياب الشورى في الحياة على مستوى الأفراد والجماعات ، تتولد أفكارا سقيمة وأنظمة استبدادية ، وبدورها تؤدي إلى كارثة اجتماعية كبيرة .

وهناك نماذج كثيرة في التاريخ شاهدة على الانهيارات العديدة التي صنعها ثلة من المعتوهين والمجانين رغبة في الجنون ليس إلا .

فالتفرد بالقرار والاستبداد في الحكم ، آية على الخلق الذميم ، والأنانية الحاقدة .

فحريٌ بأصحاب القرار أن يلتزموا بالقران الكريم في حياتهم العامة والخاصة ؛ وأن يصطبغوا حياتهم بالشورى ليضمنوا في ظلها العدالة والأمن والرخاء .

٣. التزوير والتلاعب بالمصطلحات (الرشوة نموذجا) :

لقد كان للكلمة أثرها البالغ في نفوس سامعيها ومحدثيها على السواء ، ومنذ أمد بعيد اصطلح الناس على مصطلحات ذات أبعاد اجتماعية وسياسية وثقافية وحضارية .

والأصل في هذه المصطلحات ملازمة المعاني الموضوعة لها حتى يبقى بريقها وأصالتها وقوتها ، ولكن قد تتعرض المصطلحات للتزوير والتلاعب والغموض ، ونجد هذا واضحا في قصة ملكة سبأ حيث أطلقت الملكة كلمة الهدية على الرشوة : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٢] ، وبين الكلمتين ـ أي الهدية والرشوة ـ المسافة الشاسعة في المعاني والدلالات .

---

(١) الأدب المفرد : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م ، دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان ، ص ١٠٠ ، (وانظر الفتح الباري بشرح صحيح البخاري : ج١٣/ ص ٤٠٩) .

(٢) سورة النمل الآية ٣٥ .

(كانت ملكة ((سبأ)) أوّل من حرّف وزوّر وتلاعب بالمصطلحات ، حيث أطلقت على الرشوة كلمة ((هدية)) ثم سار المحرفون المزورون على طريقتها ، فصاروا يسمون الرشاوي هدايا) [١].

ومن السمات البارزة في هذا العصر التلاعب بالمصطلحات وتزويرها على نطاق واسع .

فباسم الحرية والديمقراطية تصادر الشعوب حريتها وحياتها ، وباسم التحرير يحتل البلاد والعباد [٢]، وباسم القضاء على الإرهاب يقومون بأعمال هي أشد عنفا [٣] وإرهابا في تاريخ البشرية .

فيجب على المسلمين أن يتنبهوا للمصطلحات التي يراد منها خنق المسلمين حضاريا وعلميا وثقافيا وإعلاميا .

قال محسن عبد الحميد :

(إذا أردنا أن تتغير أوضاعنا الحضارية في ضوء المذهبية الإسلامية ، فلا بد أن تكون مصطلحاتنا الحضارية تعبر تعبيرا دقيقا عن حقائقها وطبيعتها ووحدتها الداخلية ومنظومتها المتميزة ؛ لان في ذلك الصفاء ووضوح الرؤية واستقامة المنهج ؛ ولان التغير الحضاري في أي مجتمع إذا قاده التلفيق بين مجموعات اصطلاحية تنتمي إلى منظومات حضارية مختلفة فان التغير يفقد التخطيط الموجه ويدخل في إطار الفوضى في الفكر والممارسة فيؤثر في كيان المجتمع كله .

وفوضى الاصطلاحات من جهة أخرى دليل عدم الأصالة ، وبرهان عدم وجدان الذات ، وفقدان للخصوصية الحضارية .

---

(١) لطائف قرآنية : ص ١١٨ .

(٢) على سبيل المثال ما فعلته أمريكا بالعراق من احتلال وتدمير لمؤسساتها ونشر الفساد والمفسدين فيها وقتل آلاف من أبناءها ..... الخ ، من الأعمال الوحشية بحق هذه الأمة .

(٣) وخير شاهد على ذلك ما تفعله الصهيونية بالمسلمين في الفلسطين وعلى الخصوص الغزة الأبية والعزيزة فك الله تعالى عنها الحصار والظلم والعدوان .

ومن المشاكل الفكرية الخطيرة التي نعاني منها في مرحلتنا الحاضرة تشابك الاصطلاحات التي تنتمي إلى حضارات متضادة في كل شي)[1] .

٤. الثبات على المبادئ والقيم الإسلامية أمام الإغراءات الدنيوية :

(لقد كان القران ينشئ قلوبا يعدها لحمل الأمانة ، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد بحيث لا تتطلع ـ وهي تبذل كل شيء ، وتحتمل كل شيء ـ إلى شيء في هذه الأرض ، ولا تنظر إلا إلى الآخرة ، ولا ترجوا إلا رضوان الله ، قلوبا مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها في نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية حتى الموت .

بلا جزاء في هذه الأرض قريب ، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة ، وغلبة

الإسلام وظهور المسلمين ، بل لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر كما فعل بالمكذبين الأولين !)[2].

تحدثنا القران الكريم عن موقف سيدنا سليمان من الهدية التي بعثتها ملكة سبأ إليه ليصرفه عن دعوته إلى الإسلام ، وترك ما سواه من الأوهام والأوثان .

كان موقف نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ واضحا من الهدية ؛ حيث قام برفضها واعتبارها رشوة .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[3].

---

(١) المذهبية الإسلامية والتغير الحضاري : د . محسن عبد الحميد ، ط ٤ ، ١٤٢٠ هـ ، طبع بمطابع وزارة التربية (في العراق) . بغداد . ص ٨٩ . ٩٠ .

(٢) معالم في الطريق : سيد قطب ، ط ١٠ ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م ، دار الكتاب الإسلامي . قم . إيران، ص ١٩٩ .

(٣) سورة النمل الآية ٣٦ . ٣٧ .

(أي فما آتاني الله من فيض رحمته من النبوة والعلم خير مما آتاكم من المال ، لان المال عرض زائل ومظهر من مظاهر الدنيا الفانية .

فسليمان يقصد بذلك تفضيل النواحي الروحية على النواحي المادية ، فهو لم يقل ما آتاني الله أكثر مما آتاكم بل قال : ﴿ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ ، وهو طبعا يقصد النواحي الروحية فهي في نظره أفضل من النواحي المادية) [1].

وهكذا كان الدعاة والمصلحون أكثر عرضة للإغراءات الدنيوية ، وقد استخدم المشركون الإغراءات العديدة أمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يزحزحه عن دعوتها لحظة، وهذا ديدن المشركين والكافرين في مواجهة الدعوة الإسلامية ودعاته في كل عصر وزمان.

فكم من الدعاة سقطوا في الطريق أمام إغراءات دنيوية وكم عرضت الآلاف من الأموال على الدعاة ليكفُوا عن دعوتهم ! والذين ثبتوا أمام إغراء المال هم المقتدون بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والداعية الربانيُ هو الذي يتأسى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حركته ، وأقواله ، وأفعاله ، ولا ينسى الهدف الذي يعيش ويموت من أجله : قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [2]. [3]

(وقد ينجح المؤمن ويثبت أمام امتحان الشدة والبلاء ، ولا تلين قناته ، ويواصل السير ، ولكنه قد لا ينجح في الامتحان إذا تعرض لفتنة الدنيا والمال ، فإذا عرض عليه منصب رفيع ، أو مال

---

(١) مع الأنبياء في القران الكريم : ص ٣٠١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٦٢.١٦٣ .

(٣) السيرة النبوية : د. علي محمد محمد الصلابي ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ. ٢٠٠٤ م ، دار ابن كثير . دمشق . بيروت ، ص ١٩٨ بتصرف .

وفير ، تحلب فمه ، وسال لعابه ، وفقد توازنه ، ونسى ما كان يدعو إليه من قبل ، ولا عاصم من ذلك ، إلا بالإلحاح في الدعاء أن يثبت الله منا الأقدام وأن يربط على القلوب)[1].

(إن الله عزّ وجلّ يمتن على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه أثبته على ما أوحى إليه وعصمه من فتنة المشركين ووقاه الركون إليهم ـ ولو قليلا ـ ورحمه من عاقبة هذا الركون وهي عذاب الدنيا والآخرة مضاعفا وفقدان المعين والنصير .

يقول تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[2])[3].

يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ :

يعدد السياق محاولات المشركين مع الرسول صلى الله عليه وسلم ...هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله ، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات دائماً . محاولة إغرائهم لينحرفوا ولو قليلاً عن استقامة الدعوة وصلابتها . ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة . ومن حملة الدعوات من يفتن بهذا عن دعوته لأنه يرى الأمر هيناً ، فأصحاب السلطان لا يطلبون إليه أن يترك دعوته كلية ، إنما هم يطلبون تعديلات طفيفة ليلتقي الطرفان في منتصف الطريق . وقد يدخل الشيطان على حامل الدعوة من هذه الثغرة ، فيتصور أن خير الدعوة في كسب أصحاب السلطان إليها ولو بالتنازل عن جانب منها!
إن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق . وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها ولو يسير ، وفي إغفال طرف منها ولو ضئيل ، لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة .
لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء!
والمسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها . فالذي ينزل عن جزء منها مهما صغر ، والذي يسكت عن طرف منها مهما ضؤل ، لا يمكن أن يكون مؤمناً بدعوته حق الإيمان . فكل جانب من جوانب الدعوة في نظر المؤمن هو حق كالآخر . وليس فيها فاضل ومفضول . وليس فيها

---

(١) نظرات في رسالة التعاليم : محمد عبد الله الخطيب ، ومحمد عبد الحليم حامد ، ب ط ، ١٩٩٥ م ، دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة . مصر ، ص ٢٤٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٣ . ٧٥ .

(٣) من ركائز الدعوة : د. مجدي الهلالي ، ط٢ ، ١٩٩٥ م ، دار الطباعة والنشر الإسلامية . القاهرة . مصر ، ص ١٧١ . ١٧٢.